الوعي

جامعية - فكرية - ثقافية

السنة الثالثة والثلاثون
جمادى الأولى ١٤٤٠ هـ - ك٢/ يناير ٢٠١٩م

العدد
٣٨٨

كلمة الوعي

حركات الإسلام السياسي بين العلمنة والتصفية

خطة من خطط القضاء على الإسلام السياسي

في استراتيجية الحرب على الإسلام

الحروب التجارية وأبعادها السياسية ص ١٠

الإسلام: كلمة طيبة... كشجرة طيبة... ص ٣٣

«ما بعد الإسلام السياسي»: خلافة راشدة على منهاج النبوة (بإذن ربها) ص ٥١

جامعية - فكرية - ثقافية
مجلة الوعي تصدر غرة كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان
بترخيص رقم «١٦٦» صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥
www.al-waie.org Subjects@al-waie.org

المحتويات

- كلمة الوعي: حركات الإسلام السياسي بين العلمنة والتصفية خطة من خطط القضاء على الإسلام السياسي في استراتيجية الحرب على الإسلام ٣
- الحروب التجارية وأبعادها السياسية ١٠
- أميركا والعالم ١٦
- العوامل الجغرافية لقوة الدولة وضعفها دراسة بدائية ومختصرة (٣) ٢٠
- الخطـــــابة: ما لها، وما عليها ٢٦
- الحق اليقين في الكتاب المبين (الإسلام: كلمة طيبة... كشجرة طيبة...) ٣٣
- أخبار المسلمين في العالم ٣٧
- مع القرآن الكريم: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ ٤١
- رياض الجنة: اِتَّقُوْا دَعْوَةَ المَـظْلُوْمِ ٤٦
- فبهداهم اقتده: أبو أيُّوب الأنصاري ٤٧
- كلمة أخيرة: «ما بعد الإسلام السياسي»: خلافة راشدة على منهاج النبوة (بإذن ربها) ٥١

العدد ٣٨٨
السنة الثالثة والثلاثون
جمادى الأولى ١٤٤٠ هـ
ك٢/يناير ٢٠١٩م

ثمن النسخة

لبنان	١٠٠٠ ل.ل.
اليمن	٣٠ ريال
تركيا	١$ أميركي
باكستان	١$ أميركي
أستراليا	٢,٥$
أميركا	٢,٥$
كندا	٢,٥$
ألمانيا	٢,٥ يورو
السويد	١٥ كرون
بلجيكا	١ يورو
بريطانيا	١ يورو
سويسرا	٢ فرنك
النمسا	١ يورو
الدانمرك	١٥ كرون

حركات الإسلام السياسي بين العلمنة والتصفية... خطة من خطط القضاء على الإسلام السياسي في استراتيجية الحرب على الإسلام

لقد تنبَّه الغرب - وكل دول العالم - منذ عقود لتنامي التوجه الإسلامي إلى إيجاد كيان سياسي للإسلام، وشعر بخطر كبير بسبب التأييد العام والعارم من مختلف شعوب المسلمين لهذا التوجه؛ فسعى بكل ما أوتي من كيد ومكر وإمكانات لإجهاض هذا التوجه، والقضاء على الفكر والفقه السياسي الإسلامي عند المسلمين، والذي انتشر اليوم باسم الإسلام السياسي، ويطلق عليه الغرب وأدواته والمتضررون من وجود الدولة الإسلامية اسم (الإسلاموية)، وذلك من قبيل التهكم. وينطوي تعبيرهم هذا على زعم أن الإسلام ليس فيه نظام سياسي ولا أنظمة حياة وعلاقات. ولا يفتأ هؤلاء يمكرون ويخططون، ويجددون مخططاتهم ويعددونها، حتى كثرت وعمت العالم الإسلامي، وكلها تستهدف القضاء على الإسلام السياسي وحركاته. وهذا ما يقتضي التنبُّه والتتبُّع الدائم لهذه الخطط للوقوف عليها وكشفها ومواجهتها، ولغذِّ السير على بصيرة، وفي طريق واضح، من حيث بلغ العمل السياسي الإسلامي اليوم، وحيث وصلت الأمة، إلى آخر هذا الطريق حيث الغاية والهدف المنشود. قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٠٨﴾.

لقد فشل الغرب في إيجاد التغيير الذي يريده للعالم الإسلامي، ولمفاهيم الناس وعلاقاتهم، وهو ما يسمونه التحول الديمقراطي. وبتعبير آخر هزيمة الفكر السياسي الإسلامي. لقد حاول هذا الأمر بوسائل وأساليب لا تنتهي منذ هدم دولة الخلافة إلى الآن، لكنه بفضل الله لم يفلح. وبعد سقوط الاتحاد السوفياتي. لم يبقَ في الميدان إلا الإسلام والرأسمالية. وتوهمت الرأسمالية أنها انتصرت وحكمت العالم، وأن الإسلام لن يستطيع مواجهة إمكاناتها، بالتالي فقد عملت على فرض النظام العالمي الجديد، وإقصاء الإسلام عن الحياة قسرًا... أي فرض تطبيق فكرة فصل الدين عن الحياة والديمقراطية.

وحيث إن دعاة الإسلام وحَمَلته لتطبيقه في الحياة أيضًا يسعون إلى إيجاد التغيير الإسلامي؛ فقد آل الوضع في بلاد المسلمين، بل وفي العالم، إلى صراع عالمي بين توجهين، يهدف كل منهما إلى تحقيق التغيير. وساحة الصراع هي العالم الإسلامي. اتجاه يستهدف التغيير أو التحول الإسلامي، واتجاه يستهدف التغيير أو التحول الديمقراطي. وحتى الآن لم ينجح أيٌّ من الاتجاهين. حزب التحرير، وقف ويقف في مقدمة الصراع، وعلى رأس العمل والتحرك باتجاه التغيير الإسلامي. والتحول الديمقراطي تتصدره وتخطط له أميركا وكل دول الغرب. ونحن الآن في قلب المعركة، نحن وغيرنا من المخلصين، سواءٌ حركات أو في حركات أو غير ذلك، وكذلك الأمة، الكل في المعركة. ويمكن القول إن الأمة تمتلئ نفسها بأمل التغيير الإسلامي وتنتظر بارقته؛ ومن الأهمية بمكان، التوقف هنا والنظر في أن **هذا الأمر، لا بد له من استنفار العقول، وملاحقة المتصدرين للتغيير ومساءلتهم، لتقديم الاستراتيجيات والخطط.**

إن صراع التحول أو التغيير، بين الإسلام السياسي ومن يتصدر له بإمكانات قليلة ودون الممكن بكثير، وبين العلمانية والدول الكبرى التي تتصدر لها بكل إمكاناتها الكبيرة والكثيرة جارٍ بقوة، وبكل أسلحتهم. وبالرغم من تفوق الغرب بإمكاناته المادية، إلا أنه فشل في القضاء على الإسلام السياسي، وفي فرض النمط الغربي في الحياة والدولة، رغم تطبيقه بالقوة؛ لأن المسلمين لا يتقبلونه، ويواجهونه، ويريدون التخلص منه ومن هيمنته. فالهيمنة والفرض بالقوة ليس انتصارًا، ولا نهاية المعركة. بل هو أحيانًا بدايتها. لقد **فشل بوش الأب** بفرض النظام العالمي الأميركي الجديد عقب سقوط الاتحاد السوفياتي، **ثم فشل بوش الابن** فشلًا ذريعًا مشهودًا في مشروع التفرد الأميركي في حكم العالم، **ثم فشل أوباما**، وكان وراء هذا الفشل في كل مرة، هم العاملون في الإسلام السياسي.

أراد أوباما وإدارته أن يعطوا متنفسًا سياسيًا وأمنيًا واقتصاديًا للمسلمين... وأرجعوا سبب العداء الإسلامي للغرب ولأميركا إلى أن أميركا تؤيد الدكتاتوريات الشمولية والقمعية، والتي تستأثر بالسلطة ومنافعها وتفقر الشعوب... وأن الشعوب لو أخذت فرصتها، وشاركت في العمل السياسي وفي انتخابات نزيهة، وارتفع عنها الضغط الاقتصادي والأمني... فلن تكون حينئذ ساعية إلى التغيير الإسلامي، ولا إلى كراهية أميركا والغرب... هذا الأمر جعل أميركا تضغط على الحكام والدول، وتتواصل مع جماعات وأحزاب ومنظمات حقوقية ومدنية كثيرة. وهذا ما جعل كل حكام المنطقة

ينزعجون من أميركا ويتذمرون... وقد أدى هذا الأمر إلى تشجيع أميركا منظمات المجتمع المدني في العالم العربي، فانطلقت المعارضة، والمعارضات، ثم جاء السيل بأكثر مما توقعت أميركا، وهو الثورات. وكانت أميركا سعيدة جدًا بهذه الأحداث لأنها توهمت أنها من قبيل التحول الديمقراطي؛ ولذلك ذهبت تهدد بهذه الثورات، ومن ذلك تصريح هيلاري كلينتون في حينه بأن عاصفة هوجاء من الثورات ستجتاح المنطقة، وأنّ من ظن أنه ليس مقصودًا بها فهو مقصود. والراجح جدًا أن هذا الكلام كان موجهًا لحكام المسلمين.

إن أميركا تخشى الإسلام السياسي، وباتت لا تثق بالحركات السياسية الإسلامية حتى وإن كانت (معتدلة) بحسب معاييرها؛ لأنها لا تأمن عواقب وصولها إلى الحكم، ولتوقُّع وصول الحركات الإسلامية المخلصة على ظهرها. فقد رأت أميركا خلال حكم الإخوان والنهضة، أن هناك توجهات إسلامية تظهر وتتقدم وتزداد قوة في المسلمين، وهي ليست على شاكلة الإخوان ولا تؤمن بالديمقراطية ولا بالوسطية أو الحريات العامة... وفي مقدمة هؤلاء حزب التحرير، الذي علا صوته في مصر وتونس وسوريا وباكستان وإندونيسيا... ووجدت أميركا كما نصحها كثيرون، أنه في المحصلة لا فرق بين إسلام معتدل وإسلام متطرف، فكله مآله التطرف والإرهاب، وقال بعضهم ما يفيد إنّه حتى القاعدة والإخوان يسبحون في بركة واحدة. وصدر عن بعض قيادات الإخوان تصريحات استثمرها خصومهم، بحيث روّجوا بأن الإسلاميين كلهم واحد، وأن مزاعمهم بالديمقراطية والوسطية والحريات العامة ليست أكثر من أعمال انتهازية ووصولية... وأنه عندما يتمكن الإسلاميون فلن تبقى ديمقراطية ولا من يحزنون... هذا التفكير أدى عند أميركا إلى اتخاذ قرار حاسم بإزالة الإسلام (ولو كان شكليًا) من الحكم، وبشكل نهائي، وعدم السماح له بالوصول. هذه كانت سياسة أوباما في ولايته الثانية، وقد اقتضى الأمر مراجعة أميركا لواقع الثورات، ولحجم الإسلام الذي فيها وخطره، وكانت النتيجة أنهم عادوا إلى سياسة بوش الابن، وبشكل أقسى وأعنف، وتخلَّوْا عن سياسة أوباما التي جاء بها عام ٢٠٠٩م. وبهذا يكون الفشل متعاقبًا من بوش الأب، إلى بوش الابن، إلى أوباما. ولذلك جيء بترامب وسياسته الوقحة والفجة تجاه الإسلام والمسلمين. ونرى أن ملاحقة الحركات الإسلامية وفي مقدمتها الإخوان الذين يتنازلون ويتقربون للحكام، على قدم وساق وبشكل استئصالي. وقد ظهر هذا جليًا في الانقلاب عليهم في مصر والإمارات والسعودية؛ حيث نلاحظ تقاربًا أميركيًا كبيرًا مع هذه

الـدول فـي هـذا الشـأن.

أنهـم وجـدوا أنـه لا أمـان للمسـلمين؛ لا المتطـرف منهـم ولا المعتـدل. وبالتالـي يجـب أن يخـرج الإسـلام السياسـي مـن الميـدان نهائيًـا. فـلا يقـال هـذا معتـدل ومتطـور ويقبـل بحقـوق الإنسـان فـلا ضيـر منـه! بـل لا يصـح وجـود الإسـلام أبـدًا فـي العمـل السياسـي ونهائيًـا؛ ولذلـك فـإن كل الحـركات الإسـلامية التـي تريـد أن يكـون لهـا دور سياسـي، سـواء تريـد الوصـول إلـى الحكـم أو مجلـس النـواب، أم ممارسـة أي عمـل سياسـي، فعليهـا أن تعلـن تخليهـا عـن الإسـلام فـي جمعيتهـا وقوانينهـا وأعمالهـا؛ وإلا فسـيتم اسـتئصالها، والوسـائل كثيـرة: بالقانـون، وبالأجهـزة الأمنيـة، وبتلفيـق التهـم. وسـيكون التعامـل معهـا شـديدًا، والمثـال رابعـة والنهضـة. فالحـركات التـي سـتُبقي علـى صفـة الإسـلام عندهـا، تمنـع مـن ممارسـة العمـل السياسـي، والتـي تقبـل ذلـك تكـون قـد صـارت علمانيـة، وهـذا مـا يحاولـون أن يفرضـوه اليـوم؛ **مـن هنـا نشـأت فكـرة الفصـل مـا بيـن الدعـوي والسياسـي**، ووضعـت موضـع التنفيـذ بقـوة بعـد الثـورات، مترافقـةً مـع الوقاحـة فـي الهجـوم علـى الإسـلام، وتحـت طائلـة التهديـد. واسـتُعمل لأجـل ذلـك رمـوز فـي تجـارة القضايـا وخيانـة الأمانـة.

فقـد أعلنـت حركـة النهضـة التونسـية برئاسـة الشـيخ راشـد الغنوشـي الفصل بيـن الدعوي والسياسـي فـي مؤتمرهـا العاشـر فـي أيـار عـام ٢٠١٦م. وأعلنـت حركـة التوحيـد والإصـلاح المغربيـة التـي يرأسـها الدكتـور أحمـد الريسـوني تخلـي الحركـة عـن العمـل السياسـي نهائيًـا، والـذي تركتـه لحـزب العدالـة والتنميـة، فـي مؤتمـر السـادس فـي آب ٢٠١٨م، ولا يوجـد أي عضـو مـن حـزب العدالـة والتنميـة فـي حركـة الإصـلاح والتوحيـد.

وتُسَـوِّق هـذه الحـركات لنفسـها بأنهـا ذكيـة وحكيمـة؛ إذ إنهـا تتجـاوز بذلـك عمليـة الاسـتئصال التـي مـر بهـا الإخـوان؛ لذلـك ينظـر كثيـرون إلـى تنـازلات الغنوشـي باعتبارهـا حكمـة، ويتـم إشـهاره باعتبـاره نموذجًـا يحتـذى لـدى الحـركات الإسـلامية، كمـا يتـم تكليفـه بإقنـاع الحـركات الأخـرى بالتخلـي عـن الإسـلام والعلمنـة فـي العمـل السياسـي.

واقـع هـذا الأمـر أنـه هجمـة شرسـة تريـد تحقيـق أهدافهـا باسـتئصال الإسـلام السياسـي بالقـوة تحـت طائلـة الطمـس، والإخـراج مـن ميـدان العمـل السياسـي، مـا يـؤدي إلـى تصفيتها سياسـيًا، وإذا لـزم الأمـر الإبـادة الجسـدية. والـذي جـرى ويجـري فـي مصـر هـو نمـوذج التهديـد، ويتـم تقديـم تونـس باعتبارهـا مختبـرًا لنجـاح هـذه السياسـات أو بدائلهـا...

تقـوم هـذه الحـركات بالمقارنـة بيـن هـذه التهديـدات بالإلغـاء والتصفيـر وبيـن البقـاء

مقابل تنازلات، وقد درجت العادة على أن تتنازل تحت ذرائع صارت معروفة ومكررة، كالمصالح والضرورات والموازنات... وبهذا عُرف سعر هذه الحركات أو سقفها، وصارت الأنظمة وأجهزتها تستعمل معها سياسة العصا والجزرة، فإما أن تتنازل وتحصل على مشاركة معينة، وإما أن لا تتنازل ويكون مصيرها السجن والقمع والإلغاء.

إن الوضع الذي مرَّ بيانه من تغيير أميركا سياستها بشكل انقلابي وعدائي شرس تجاه الحركات المعتدلة والوسطية، تتعاون عل فرضه أجهزة سياسية وأمنية ومراكز فكر ودراسات، وكذلك وساطات سياسية ومندسون، وتقام لأجل ذلك مؤتمرات. ومن الجدير بالذكر أن تتبُّع هذا الأمر دل على وجود توجهَيْن تجاه حركات الإسلام السياسي، وبخاصة الإخوان المسلمون. الأول هو توجهٌ اختار تصفيتها والتخلص منها نهائيًا، وذلك كمصر والسعودية والإمارات. والثاني توجهٌ يرى ترويضها لإزالة أي أثر للإسلام السياسي عندها، عن طريق العصا والجزرة، كما حصل ويحصل في الأردن والمغرب وتونس.

أمام هذا الواقع وهذه المؤامرات ضد الإسلام السياسي، ما ردُّ الإخوان المتوقع: القبول بالتحول إلى العلمنة، أم الرفض، أم الانقسام، أم التشرذم، أم ترك العمل بالكلية، أم ماذا؟ كل هذا وارد، وقد توقعه بعض المتابعين. فالمتوقع - بناءً على الخط البياني لمواقفهم - أن يتنازلوا، ليبقوا في الساحة، **ولو بغير إسلام**، وذرائعهم جاهزة. وقد صدرت إشارات بهذا الاتجاه.

ففي مؤتمر إقليمي عقد في فندق كراون بلازا في عمان في ٢٣ أيار ٢٠١٧م، نظمته مؤسسة فريدريش إيبرت الألمانية بعنوان: «آفاق الإسلام السياسي في إقليم مضطرب» كانت مشاركة لزكي بن أرشيد حيث مثل حزب جبهة العمل الإسلامي وحركة الإخوان في الأردن، وقدم كلمةً عنوانها «جماعة الإخوان المسلمين... تقدير الموقف وقراءة المستقبل»، ومما قاله فيها: «... اللحظة الراهنة التي نشهدها، والتي يرى فيها البعض أن حركة التاريخ الحتمية في طريقها إلى طي صفحة الإخوان المسلمين من التأثير في المشهد السياسي والواقع الاجتماعي، ويحلو للبعض أيضًا أن يرى الجماعة في طريقها إلى الانكماش والتراجع... وذهب بعضهم للبحث... عما بعد الإسلام السياسي، فهل هذه القراءة واقعية ولها ما يبررها؟»، **ثم أعلن عن الاستعداد للتنازل**، قائلًا: «إنّ الذين انشقوا عن الجماعة لن يكتب لهم النجاح»، وقال: «مستقبل ومسار جماعة الإخوان... تصنعه إرادة الجماعة وقدرتها على العبور وتجاوز المرحلة واغتنام الفرص...

فالمستقبل ليس فيه مكان للعجزة أو الكسالى. والحمقى والموتى هم الذين لا يغيرون آراءهم أبدًا حسب أرنست همنغواي في رائعته الشيخ والبحر» ثم قال: «حزب جبهة العمل الإسلامي في الأردن بدأ بعملية المراجعة تحت عنوان إعادة الهيكلة، فإذا استطاع الحزب أن ينجز هذه العملية يمكن اعتبار ذلك بمثابة مرحلة التأسيس الثانية للحزب، لأنها تشكل طرحًا حداثيًا متقدمًا يلامس الأنموذج المستوعب لمجمل المتغيرات والتحديات، لا سيما وأن التعديلات تناولت الأفكار والأسس والمبادئ والرؤية والأهداف». هذه تصريحات تشير بوضوح إلى الاستعداد للتنازل في كل شيء. وهي واضحة الدلالة على الاستعداد للذهاب إلى العلمنة. وهذا يغري الأنظمة بأن أسلوب التحريض على المراجعة وتغيير الأفكار، وتشجيع التمرد والانشقاق داخل الحركة، وإيجاد منافسين لها منها ويشبهونها، أسلوبٌ مجدٍ في ترويض الحركة وتغيّرها التدريجي إلى أن تتغير بالكلية.

ولكي يتبين بوضوح أن الغرب وعملاءه يخططون فعلًا لعلمنة حركات الإسلام السياسي وتخليها عن الإسلام في نشاطاتها وأعمالها السياسية، أن حزب زمزم الذي انشق عن الإخوان في الأردن، قال إنه ذهب إلى تبني «الفصل بين السياسي والدعوي باعتبارهما نشاطين بشريين يخضعان للصواب والخطأ، وليس من الصواب الدمج بينهما»، ودعا إلى «تبني مفهوم الدولة المدنية كشعار وممارسة»... أما الحزب الثاني المنشق وهو حزب الشراكة والإنقاذ، فهو يسابق الأول في التنصل من الإسلام، ويتفاخر بذلك. فقد جاء في كلمته التي شارك بها في المؤتمر: «هنالك مستقبل للحركات التي خرجت من عباءة الإخوان أو التي ستخرج لاحقًا؛ حيث استطاعت هذه الأحزاب التحلل من كافة العقد والضغوط النفسية المقيِّدة للفكر والرأي والعمل... تلك الأحزاب – حزبا زمزم والشراكة والانقاذ – قد سمَّت نفسها بأنها أحزاب وطنية أردنية مدنية، لا أحزابًا إسلامية إطلاقًا، متحررةً من صيغة الإسلامية». وقال: «سيتم إعادة بناء النفسية والشخصية العربية وتشكيلها بفعل الأحداث والظروف على أساس خطاب وطني محلي غير مؤدلج، وسيصبح الشأن المحلي والهم الوطني ومحاربة الفساد هو الشغل الشاغل للجميع، والشعار الذي لا يعلو عليه أي شعار آخر، وسيتقدم الخطاب الوطني ليقود الجميع بلا أدنى شك، ولن يعود الخطاب الديني الإسلامي العاطفي خطابًا مهمًا وحافزًا ومحركًا للشعوب كما كان سابقًا...» ثم قال: «أعتقد أن المستقبل سيكشف... أن هذا الواقع السياسي قد ذهب إلى غير عودة، وسنشاهد صعودًا لتيارات وطنية لا ترفع

شعار الإسلام في انتخاباتها أو أدبياتها... وسيشهد الجميع تراجع تيار الإسلام السياسي في العالم العربي وفي الأردن لصالح التيارات الوطنية...». وهل يحتاج هذا إلى تعليق!

وفي الختام، نشير إلى أن الإعلان عن الفصل بين الدعوي والسياسي عند حركة التوحيد والإصلاح التي يترأسها أحمد الريسوني قد كان في آب ٢٠١٨م، بينما انتخابه رئيسًا للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين جاء بعد ذلك بفترة قصيرة، في أوائل تشرين الأول ٢٠١٨م، وهو يكيل المديح في هذا الشأن للغنوشي؛ ما يعني أن الأمر يجري وفق مخطط موضوع لضرب فكرة الإسلام السياسي... وذرائع هذا التوجه موجودة، وقد مرَّ ذكرها، ومنها مقاصد الشريعة التي ينسبون للريسوني عمق الفهم فيها وعلو الكعب، وما ذلك بصحيح، ولكنه يتبجح في ذلك كأعور يتحدث بين عميان. ولقد سبق لمجلة الوعي أن بيّنت هذا الأمر بالأدلة والشرح، في عدة أعداد منها.

ومما يجدر ذكره في ختام هذه الكلمة، أن هذه الخطط والمؤامرات تحرص على ربط الإسلام السياسي بحركات محددة كالإخوان ومن يشاركها في دعاوى الاعتدال والوسطية والتبريرات، وتتجاهل بشكل كامل الحركات التي لا يرد عندها شيءٌ من هذه التنازلات والتحريفات، وفي مقدمتها حزب التحرير، وهو أبو الإسلام السياسي وأمه. وهذا الأمر نفسه مؤامرة تقوم على التضليل وطمس الحقائق، فالإسلام السياسي لا يمثله الذين لا يجدون سبيلًا للعمل السياسي الإسلامي إلا من خلال إرضاء أنظمة الكفر، والتسويغات والترخصات التي تخالف الشرع، ثم تتجاوزه لتصبح خارجه بالكلية.

وأختم هذه الكلمة بالقول: إن نهج التحريف والتبديل هذا، ثم التبرير بهذه الذرائع، هو منهج من أصابهم اليأس والقنوط فذهبوا يوالون الكفار والظالمين، ويحاربون الشرع بألسنتهم ومواقفهم وكثيرٍ من أعمالهم، ويزعمون أن نواياهم وقلوبهم على غير ذلك، وأنهم إن يريدون إلا الإصلاح، وحفظ ما تبقَّى. هؤلاء ليسوا على الجادة، ولا على المنهاج القويم، هؤلاء تركوا ولاء الله سبحانه وتعالى إلى ولاء الظالمين، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩٦ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ١٩٧﴾. وليتهم يتَّعِظون مما يصيبهم وبقوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ١٢٦﴾. صدق الله العظيم. ■

الحروب التجارية وأبعادها السياسية

د. إبراهيم التميمي
(عضو المكتب الإعلامي لحزب التحرير في الأرض المباركة فلسطين)

لا يخرج الصراع الدولي منذ فجر التاريخ وحتى قيام الساعة عن أحد دافعَين؛ إما حب السيادة والفخر (سواء سيادة الأمة أو الشعب، أو سيادة المبدأ) أو الركض وراء المنافع المادية. وبقي هذان الدافعان هما المحركَيْن للصراع الدولي، ولكن بعد زوال الدولة الإسلامية وسقوط الاتحاد السوفياتي وتفرد المبدأ الرأسمالي في السيطرة على العالم، وهو المبدأ الذي يقدِّس المصلحة والمنفعة ويدفع باتجاه السيطرة المالية والاقتصادية، تنحى الدافع الأول وأصبح الدافع الثاني هو المحرك والمؤجج الرئيسي للتنافس الاستعماري بين الدول الكبرى.

وتحوَّل هذا التنافس بين الدول الكبرى للسيطرة على الموارد والمنافع في العالم إلى سياسة خبيثة يتم تنفيذها من خلال أدوات عدة أبرزها: المؤسسات الدولية التابعة للدول الكبرى مثل منظمة التجارة العالمية، وصندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، والاتفاقيات السياسية والعقود التجارية والشركات العابرة للقارات، إضافة إلى الحكام العملاء والوجود العسكري في الدول العميلة.

أما بين الدول الكبرى، فقد أدى التقدم العلمي الهائل والتطور الملحوظ في علم الاقتصاد وزيادة الإنتاج والصعود الاقتصادي السريع لبعض الدول مثل ألمانيا والعملاق الصيني، وما يتطلبه ذلك التقدم الاقتصادي من تنافس في السيطرة على الأسواق العالمية لمواكبة التطور في الإنتاج، أدّى كل ذلك إلى شعور الدولة الأولى بالانزعاج والخوف من أن يتبع هذا الصعود الاقتصادي الكبير والسريع لتلك الدول صعودٌ سياسي يهدد مركز الدولة الأولى ونفوذها السياسي في العالم، ومع اندلاع الأزمة الاقتصادية التي عصفت بالدولة الأولى وزلزلت اقتصادها قبل عقد من الزمن، وما تبع تلك الأزمة من آثار سلبية قاسية على الاقتصاد الأميركي، تعزز هذا الهاجس لدى الدولة الأولى وتنامى، واتخذت منه مبررًا لإطلاق العنان لنفسها لسلوك كل سبيل من شأنه مساعدتها في التخلص من الآثار السلبية لتلك الأزمة الاقتصادية، وأعطت الضوء الأخضر لسياسييها في اتباع أساليب ووسائل كانت في الماضي تعتبر من المحرمات التي يمنع استخدامها في التعامل والتبادل

التجاري مع دول العالم، حتى وصل الأمر في عهد الرئيس الأميركي الحالي دونالد ترامب إلى تجاوز قوانين منظمة التجارة العالمية وسياسة حرية التجارة التي شكلت أسس التبادل التجاري في العالم خلال العقود الماضية، وكانت فيما مضى تعتبر المرجعية المقدسة للدول الكبرى في حل الإشكاليات التجارية والمشاكل الاقتصادية ولا يجرؤ أحد على تجاوزها، وهو ما أشعل بحسب مراقبين واقتصاديين فتيل ما يسمى بالحروب التجارية، فما هي الحروب التجارية؟ وما هي الدوافع الحقيقية لهذا النوع من الحروب؟ وما هي الأبعاد السياسية لهذه الحروب؟ وهل من الممكن أن تؤثر على الموقف الدولي؟.

الحروب التجارية:

هو مصطلح تداولته وسائل الإعلام وتكرر على لسان السياسيين والاقتصاديين بعد الإجراءات التي قامت بها الولايات المتحدة ضد الاتحاد الأوروبي والصين وكندا ودول أخرى عدة، وما تبع تلك الإجراءات من ردود أفعال وإجراءات مضادة.

وتمثلت هذه الإجراءات بالأمور التالية:

- فرض رسوم جمركية على واردات الولايات المتحدة من بعض صادرات تلك الدول حيث تم فرض:
  - ١٠٪ رسوم جمركية على واردات الولايات المتحدة من الصلب، و٢٥٪ على وارداتها من الألمنيوم، ومن الدول التي شملتها الرسوم الجمركية الاتحاد الأوروبي، وكندا، والمكسيك، وكوريا الجنوبية، والصين.
  - ٢٥٪ رسوم جمركية على واردات صينية بقيمة ٥٠ مليار دولار في السنة.
- التهديد بفرض المزيد من الرسوم الجمركية في حالة الرد على الرسوم التي تم فرضها حيث تم التهديد بفرض:
  - ١٠٪ رسوم جمركية على واردات صينية بقيمة ٢٠٠ مليار دولار ردًا على اتباع الصين سياسة الرد بالمثل، وفرضها رسومًا جمركية على واردات أميركية تقدر بـ٥٠ مليار دولار، وهو ما يساوي قيمة المنتجات الصينية التي فرضت عليها الولايات المتحدة رسومًا جمركية.
  - رسوم جمركية على واردات الولايات المتحدة من السيارات القادمة من الاتحاد الأوروبي في حال فرضه رسوم جمركية على المنتجات الأميركية الواردة لدوله كنوع من الرد على الرسوم التي فرضتها الولايات المتحدة على الألمنيوم والصلب، وجاء ذلك التهديد عقب إعلان كل من كندا والاتحاد الأوروبي عن عزمهما مواجهة الإجراءات الأميركية بإجراءات مماثلة، وفرض ضرائب على المنتجات الأميركية الواردة إليهما، وشروعهما في تطبيق تلك الإجراءات.
- رفض ترامب التوقيع على البيان الختامي للدول الصناعية الكبرى G7 بعد شدٍّ وجذب من قبل زعماء الدول

المجتمعة لثني الولايات المتحدة عن إجراءاتها الاقتصادية ضد تلك الدول، وبذل الجهد في محاولة إقناع الرئيس دونالد ترامب بالعدول عن سياسة الحمائية وفرض الضرائب والجمارك.

الدوافع وراء هذه الإجراءات (الحروب التجارية):

في ظل المديونية الفلكية للولايات المتحدة والتي بلغت ما يزيد عن ٢٠ تريليون دولار، وعدم القدرة على تجاوز آثار الأزمة الاقتصادية التي حصلت عام ٢٠٠٨م إلى الآن، وفشل الإدارة السابقة في ذلك، والرغبة الجامحة لدى الإدارة الحالية الفظة في معالجة تلك الآثار، تم اتباع هذه السياسة لتحقيق أهداف عدة منها:

- جلب المزيد من الأموال إلى ميزانية الدولة بكل الطرق، سواء أكانت بشكل دبلوماسي يليق بدولة من خلال توقيع اتفاقيات تجارية جديدة وفتح أسواق جديدة لمنتجاتها، أم بشكل إجباري يليق بعصابة ومافيا كما حصل في التعامل مع النظام السعودي، أم بفرض الضرائب والرسوم الجمركية كما حصل مع الصين والاتحاد الأوروبي، ومن ثم استخدام هذه الأموال لدعم الاقتصاد الأميركي وتوفير فرص عمل.
- التأثير بشكل سلبي على النمو السريع في اقتصاديات بعض الدول خاصة الصين وألمانيا التي يمثل لها السوق الأميركي المستهلك الأكبر لمنتجاتها في محاولة لضبط الصعود الاقتصادي والسياسي لتلك الدول، وفي المقابل دعم الشركات المحلية في الولايات المتحدة وتحفيزها على الإنتاج مثل شركات استخراج الصلب والألمنيوم بما يدعم اقتصاد الدولة.

والأمر الذي شجع الولايات المتحدة على القيام بمثل هذه الإجراءات هو إدراك الولايات المتحدة مدى الحرص الصيني على عدم تضرر المصالح التجارية مع أميركا، وهو ما دفعها في السابق إلى إخضاع حليفتها كوريا الشمالية للإملاءات الأميركية، وإدراك الولايات المتحدة أن الصين لن تستطيع مواجهة تلك الإجراءات بإجراءات مماثلة؛ لأن حجم الصادرات الصينية إلى الولايات المتحدة تفوق نسبة الواردات بكثير ما قد يدفع الصين إلى القبول بالابتزاز الأميركي من منطلق الحسابات الصينية التي أظهرت سابقًا مدى ضيق أفقها ووعيها السياسي على السياسة الدولية، وكشفت مدى ضعف إرادتها السياسية، فوفق نظر الأميركان من يضحي بالحلفاء مقابل المال يضحي ببعض المال من أجل الحفاظ على بقية المال، وكذلك ترى الولايات المتحدة أن الاتحاد الأوروبي أضعف من أن يدخل في مواجهة مع أقوى اقتصاد في العالم.

فبريطانيا بعد خروجها من الاتحاد الأوروبي تبحث عن شريك اقتصادي جديد، وهي تمارس سياسة اللف والدوران والإبقاء على رجل مع أميركا ورجل مع

الاتحاد الأوروبي بشكل يضعف مواقفها السياسية ومواقف الاتحاد الأوروبي.

أما ألمانيا فرغم تغير مواقفها السياسية ومعارضتها للولايات المتحدة في كثير من المسائل، خاصة في عهد الإدارة الحالية؛ ولكنها ما زالت غير قادرة على مواجهة الولايات المتحدة لافتقادها القوة العسكرية والنفوذ السياسي الكافي لذلك، وفي الوقت نفسه فإن المصالح الألمانية مع الولايات المتحدة ليست بالشيء القليل؛ حيث تصدر ألمانيا ما يعادل ١١١ مليار دولار سنويًا، وهو ضعف ما تستورده من الولايات المتحدة، ويعتبر السوق الأميركي من أهم الأسواق المستوردة للسيارات المصنعة في ألمانيا حيث يستورد ١٥٪ من إنتاجها، هذا عوضًا عن السيارات التي تصنعها الشركات الألمانية داخل الولايات المتحدة، وبالتالي إن خاضت هذه الحرب في الوقت الحالي فستخرج منها خاسرة. أما فرنسا فإنها بدون بريطانيا وألمانيا تكون عاجزة عن مواجهة أميركا لوحدها.

الأبعاد السياسية لهذه الحروب:

وقبل الخوض في هذه النقطة، لا بد من الإشارة إلى أمر مهم، وهو الفارق الشاسع بين القوة العسكرية والنفوذ السياسي للدول الكبرى مقارنة بالدولة الأولى، ونضرب لتوضيح ذلك مثالين:

الأول: ميزانية وزارة الدفاع للولايات المتحدة لعام ٢٠١٨م بلغت ٧١٥ مليار دولار وهو ما يعادل ميزانية الدفاع للدول الكبرى مجتمعة.

الثاني: النفوذ السياسي الأميركي يفوق النفوذ السياسي لبقية الدول الكبرى مجتمعة، وهو في تزايد، والولايات المتحدة تكاد تمسك بمجمل الملفات والقضايا السياسية في العالم.

وفي ظل الهيمنة الأميركية على العالم، والتراجع الحاصل للمنافس القديم الجديد أوروبا، ومعضلة التفكير الإقليمي الذي تعاني منه الصين؛ فإن الدول الكبرى تسعى للتأثير على سياسة الدولة الأولى من خلال تأمين مصالحها في كثير من الملفات والقضايا السياسية كما حصل في الملف العراقي، والسوري، والأفغاني، والسعودي، والفلسطيني، وكوريا الشمالية، وغيرها من الملفات، وتساعدها في إدارتها وفي إبقاء سيادتها على العالم مقابل أهداف سياسية ومنافع اقتصادية وأرباح بالمليارات تجنيها وتكتسبها تلك الدول من الدولة الأولى من خلال التبادل التجاري معها والاستفادة من سوقها الضخم واستهلاكها الكبير. وفي المقابل، الولايات المتحدة كانت تتغاضى عن ميل الميزان التجاري لصالح تلك الدول وتغض الطرف عن الاستفادة من أسواقها واستهلاكها لما تقدمه تلك الدول من خدمة لها في الملفات السياسية ومساعدتها لها في إبقاء سيادتها على العالم.

وقد أدت الضربات السياسية المستمرة

التي توجهها الدولة الأولى للدول الكبرى في المناطق التي تبقَّى لها نفوذ فيها مثل النفوذ البريطاني في الخليج، والفرنسي في أفريقيا، والروسي في أوروبا الشرقية، والصين في محيطها، أدت إلى جعل المكاسب الاقتصادية هي الحائل الأخير بين الدول الكبرى وبين تغير سياستها في مساعدة الدولة الأولى في السيادة على العالم والإمساك بالملفات السياسية الساخنة. ومع الإعلان عن الحروب التجارية وسعي الدولة الأولى للسيادة مع الربح التجاري دون الالتفات إلى أهمية مساعدة الحلفاء، ودون مقابل يبقيهم تحت مظلتها ويحافظ على سيرهم خلفها؛ تكون الدولة الأولى قد سدت الباب في وجه تلك الدول وضربت مصالحها السياسية والاقتصادية، وهي بذلك تدفعها نحو تغيير سياستها تجاهها، وهو البعد السياسي الأبرز لما يسمى بالحروب التجارية.

احتمالية تأثير الحروب التجارية على الموقف الدولي:

الموقف الدولي هو الحالة التي تكون عليها الدولة الأولى في العالم والدول التي تزاحمها، وهو لا يلزم حالة واحدة، وإنما هو متغير ومتبدل في العالم حسب أوضاعه وأحواله وأحداثه.

وللتأثير على الدولة الأولى، وبذلك التأثير في الموقف الدولي يلزم تهديد المصالح الحقيقية للدولة الأولى تهديدًا فعالًا، أو تأمين مصالح الدولة الأولى عن طريق المساومة لمصلحتها، والناظر إلى الموقف الدولي هذه الأيام يجد أن الدول الكبرى بدأت تدرك خطورة وحماقة اختيار التأثير على الدولة الأولى من خلال تأمين مصالحها، وأن هذه الطريقة التي لا تليق بالدول الكبرى لما فيها من مقامرة بكيان أمة ومغامرة بمصير دولة، وإن كانت توصل إلى الغاية في بعض الأحيان، أصبحت غير فعالة وغير مجدية في ظل الإدارة الأميركية الحالية وسياستها القائمة على حماية مصالحها التجارية والسياسية دون الالتفات إلى مصالح الدول الكبرى، واستعدادها لنسف الاتفاقيات وتجاوز القوانين الدولية والتخلي عن المنظمات العالمية إذا ما وجدت مصلحة في ذلك.

وكانت هذه الحروب التجارية بمثابة ناقوس الخطر للدول الكبرى دفعتها لمراجعة سياستها في التعامل مع الولايات المتحدة، وقد ظهرت بوادر لذلك حيث بدأت الدول الكبرى حديثًا وبشكل لافت بالعمل على إنشاء تحالفات سياسية واتفاقيات تجارية فيما بينها تتجاوز الولايات المتحدة كنوع من أنواع التصدي للدولة الأولى وسياستها المتعجرفة، ومن الأمثلة على ذلك التقارب الروسي الصيني كما حصل في اجتماع منظمة شنغهاي الأخير في الصين ٢٠١٨/٦/١٠م، وأيضًا التقارب بين دول الاتحاد الأوروبي التي تضررت مصالحها بشكل كبير بعد الإجراءات الأميركية الأخيرة وما حصل

في قمة الدول الصناعية السبع، ويلخصه تصريح ماكرون: «إن الأعضاء الستة الآخرين بمجموعة السبع قد يشكلون مجموعتهم الخاصة إذا اقتضى الأمر». وكان هذا التصريح ردًا على الإجراءات الأميركية وتعنُّت رئيسها، وهو ما ينبئ بتغيُّر قادم للموقف الدولي بدأت ملامحه تظهر في ظل الإدارة الحالية ورئيسها المتعجرف الذي تبجح بإعلان ما يسمى بالحروب التجارية وأن الولايات المتحدة قادرة على كسبها، فغرد على حسابه: «عندما تخسر دولة مليارات الدولارات في التجارة مع كل الدول التي تتعامل معها تقريبًا، فإن الحروب التجارية جيدة، ومن السهل كسبها»، ونذكر ما جاء في جواب سؤال لأمير حزب التحرير العالم الجليل عطاء بن خليل أبو الرشتة تعليقًا على الحروب التجارية التي تشنها الولايات المتحدة «يعمل الرئيس ترامب صاحب العقلية التجارية على إنقاذ اقتصاد أميركا رافعًا شعاره «أميركا أولًا» مما ينذر بتفكك مؤسسات عالمية طالما استخدمتها أميركا لفرض نفوذها عالميًا، وبالتالي تفكك النظام العالمي وظهور موقف دولي جديد حيث لم تعد أميركا تضحي من أجل أن تبقى سيدة العالم بمساعدة الدول الأخرى، والتسامح بجعل ميزان التجارة يميل إليها، بل أصبحت تفكر فقط في السيادة مع الربح التجاري من دون مساعدة للحلفاء لتبقيهم تحت مظلتها وتسيّرهم خلفها».

إن ما يحدث في العالم هذه الأيام من حروب تجارية بين الدولة الأولى والدول الكبرى ينبئ بتفكك أحلافها، ونشوء أحلاف جديدة، وتغير الموقف الدولي، وظهور موقف دولي جديد، وصعود دول جديدة إلى سلم الدول الكبرى مثل ألمانيا التي من الممكن أن تبدأ بعملية تسلح من العيار الثقيل، بل قد يتم جر العالم إلى مواجهات عسكرية على غرار الحرب العالمية الأولى والثانية في المنظور البعيد؛ وبهذا يبقى العالم غارقًا في دوامة الصراع بين ذئاب الرأسمالية، وتبقى الدول الكبرى والدولة الأولى تنهب العالم وتطور بلادها على حساب قارات بأكملها، ويبقى الصراع لأجل المادة والمكاسب التجارية دون الالتفات إلى قيم أخلاقية أو إنسانية هو المسيطر، ويبقى العالم يكتوي بنار الدول الكبرى سواء اتفقت على التقاسم أم اختلفت وتصارعت، ولا خلاص للبشرية من النظام الرأسمالي وصراعاته القذرة إلا بقيام دولة الإسلام التي تزيح المبدأ الرأسمالي ونظامه الظالم الذي وضعه عقل البشر الناقص والعاجز؛ فأدى إلى شقاء البشرية وتعاستها وعجزها عن تنظيم شؤون حياتها، وتضع مكانه النظام الإسلامي الذي وضعه خالق البشر، وهو يعلم ما يصلح حالهم وينظم شؤون حياتهم، فيتحول الصراع من صراع يسبب شقاء البشرية إلى صراع لإنقاذها وتخليصها من شرور الرأسمالية وتأمين العيش الرغيد لها.■

إن عالمنا اليوم يجري بسرعة، ولا يترك فسحة من الزمن للتفكير والتفكُّر، ونحن اليوم بحاجة ماسة أن ننظر بإمعان وتدبُّر؛ لنعلم كيف تدار أحداث العالم التي نفسرها على أنها أمر واقع لا مناص من الالتزام به. فأول الدعوة كان التفكر في خلق الله لتأسيس القاعدة الفكرية التي تبنى عليها أفكار الحياة؛ لذلك أهم عمل قام به الغرب لنا أن أشغل العالم بأسره على كل المستويات، الدول والجماعات والأفراد، عن أن تعي حقيقة الخلق.

واليوم تستخدم المطرقة الأميركية لتحقيق أجندة عالمية لا علاقة لها بالشعب الأميركي أساسًا، ويخطئ من يؤمن بمقولة إحلال الديمقراطية؛ إذ كل ما تعانيه البشرية اليوم من ويلات هو من ذلك المبدأ الرأسمالي الذي يقوم على فصل الدين عن الحياة، والذي يقول بالديمقراطية. وهذا المبدأ فرض الاستغلال والعبودية والجشع والقيمة الربحية التي أغفل بها كل قيم الأخلاق، وجعل العالم يسير على هوى أقلية رأسمالية متمثلة بأشخاص محدودين، وبعائلات معدودة، فأين الديمقراطية؟! .

فخلال الحرب العالمية الأولى كانت الولايات المتحدة تعتمد مبدأ «مونرو» الذي يقوم: «على حياد أميركا في سياستها الخارجية عن أوروبا، ويمنع تدخل الأخيرة بالشؤون الداخلية والخارجية للولايات المتحدة»، ومع ذلك رأوا أن مصلحة بلادهم هي في دخول الحرب، ولم يكونوا طرفًا أساسيًا ولكنهم ساهموا في النصر، ولكن بريطانيا وعت أنه يجب وضع نفسها كشرطي على العالم لمنع النزاعات المستنزفة لها، ولتتحكم بالعالم؛ فأنشأت عصبة الأمم، فتميزت العشرينات بالرخاء الاقتصادي ومحدودية البطالة (وذلك يعود أصلًا لما نهب جراء انهيار الخلافة العثمانية) ولكنهم عام ١٩٢٩م، تعرضوا إلى أزمة اقتصادية عرفت بالكساد الكبير، وكان من أبرز معالمها:

انهيار سوق المال والعملات الأساسية خاصة المارك، وخيم كساد كبير وبطالة شبة كاملة بحوالى أربعين مليون عاطل عن العمل، وقد لعبت هذه الأزمة العالمية دورًا كبيرًا في نشوب الحرب العالمية الثانية؛ حيث إن الفقر أدى إلى وصول حكومات قومية مثل هتلر وغيره، وفشلت عصبة الأمم في حل المشاكل الدولية، وانتهت الحرب بعد سيطرة الاتحاد السوفياتي على برلين واستسلام اليابان للولايات المتحدة بعد قنبلة هيروشيما وناغازاكي، مع أنه لم يكن لها أي داعٍ .

هنا ظهرت أميركا كقوة اقتصادية وسياسية جديدة؛ وذلك لضعف الأطراف الأخرى، وانتقل رأس المال العالمي إلى أميركا، فتربعت على عرش النظام الرأسمالي، وأعلنت القوة المنتصرة إنشاء

مـا عـرف بالأمـم المتحـدة ومجلـس الأمـن، وتـم تثبيـت أعضائـه الفائزيـن (الاتحـاد السـوفياتي والصيـن وفرنسـا والمملكـة المتحـدة وعلـى رأسـهم الولايـات المتحـدة الأميركيـة)، وقـد عملـت أميـركا علـى إضعـاف نفـوذ الـدول الأوروبيـة، ودعمـت كل حـركات الاسـتقلال فـي العالـم، وذلـك لإخـراج الـدول المسـتعمرة مـن أراضـي الخلافـة العثمانيـة حتـى تسـيطر هـي عليهـا.

ورغـم مـا أنشـئ (الأمـم المتحـدة ومجلـس الأمـن) إلا أن مـا سـمي بالحـرب البـاردة أخـرج الاتحـاد السـوفياتي مـن مركـزه (لانهيـار مبدئـه مـن الداخـل أكثـر ممـا هـو مـن الخـارج، وذلـك لا يمكـن إعادتـه مـن جديـد نهائيًـا)، وأصبحـت الولايـات المتحـدة تتحكـم بالعالـم واقتصاداتـه، وخاصـة بعـد فصـل الـدولار عـن الذهـب وربـط النفـط بـه؛ هـذا وقـد أفـرزت الثـورة المعلوماتيـة التتقنيـة الهائلـة وضعًـا اجتماعيًـا خطـرًا؛ إذ صـارت تسـيطر علـى أهـم مئـة أشـهر شـركة إعلاميـة دوليـة تبـث سـمومها للعالـم، وترفـع شـأن مـن تشـاء وتخفـض مـن تشـاء بغضـون دقائـق، وتسـحب المليـارات مـن أمـوال المضاربيـن العالمييـن لتتـرك أي بلـد مدمـرًا كمـا حـدث فـي أزمـة نمـور آسـيا. وبسـيطرتها علـى الـدول المصـدرة للنفـط أصبحـت تتحكـم برفـع وخفـض أسـعاره، وأنشـأت الشـركات العابـرة للقـارات. وبعـد كل هـذه السـيطرة يظهـر أمامنـا سـؤال وهـو: لمـاذا كل هـذا التخـوف، وهـي تعتلـي قمـة العالـم اقتصاديًـا وتتحكـم بـه؟

إننـا نجـد أن أميـركا مـرت عبـر تاريخهـا بأزمـات ماليـة عديـدة منـذ عـام ١٨٩٨م إلـى ١٩٢٩م، وفـي السـتينات والثمانينـات مـن القـرن الماضـي، وكانـت طريقـة المعالجـة خـارج أميـركا علـى شـكل حـروب، أبتـدأت مـن الحـرب علـى إسـبانيا، واحتـلال الفلبيـن، والحربيـن العالميتيـن، مـرورًا بفيتنـام، وحـرب الخليـج، وآخرهـا قـد تكـون فـي أيامنـا هـذه.

إن النظـام المالـي العالمـي حقيقـة سـقط عـام ٢٠٠٧م، ومـا يجـري الآن هـو توالـي سـقوط هيكلـه، وتوالي انهيـارات دوله. فسـقوط العملـة الموحـدة (اليـورو) حتمـي، والعـودة إلـى العملـة الوطنيـة وسـقوطها أيضًـا حتميـة. وسـقوط النقـد البريطانـي وغيـره، وسـقوط الـدولار الأميركـي ماهـو إلا مسـألة وقـت، وانتقـال الثـورات التـي حدثـت فـي الشـرق إلـى دول العالـم كالنـار فـي الهشـيم، ومـا يفعلـه ترامـب هـذه الأيـام مـا هـو إلا تأكيـد علـى ذلـك. فلـو لـم يكـن النظـام المالـي سـاقطًا منـذ فتـرة لمـا أعلـن الحـرب التجاريـة علـى الصيـن كخطـوة أولـى تلتهـا حـرب علـى العالـم بأسـره؛ لأن هـذه الخطـوة تنـم علـى الحفـاظ علـى القوميـة وحمايتهـا، أي إن كل بلـد أو دولـة سـوف تحافـظ علـى اقتصاداتهـا كدولـة قوميـة لا تنتمـي إلـى نظـام اقتصـادي عالمـي، وهـي إن كانـت تـدور فيـه فحتـى تجـد خلاصهـا منـه.

ففـي هـذه الحـرب التجاريـة نجـد أن وزيـر التجـارة الصينـي يصـرح فيقـول: «هـذه الحـرب سـتجلب كارثـة للاقتصـاد العالمـي» وقالـت سيسـيليا رئيـس مفوضيـة التجـارة

فـي الاتحـاد الأوروبـي: «اليـوم يـوم سـيئ للتجـارة العالميـة، لقـد بذلنـا مـا فـي وسـعنا لتجنـب هـذه النتيجـة بـلا فائـدة، وأصبـح لدينـا وضـوح، وسـيكون رد الاتحـاد متناسـبًا مـع منظمـة التجـارة العالميـة». وقـال ترامـب علـى حسـاب بتويتـر: «إن الولايـات المتحـدة تخسـر مليـارات الـدولارات فـي العمليـات التجاريـة، وإنـه بإمكانهـا الانتصـار بسـهولة فـي هـذه الحـرب التجاريـة، وأعتبـر هـذه الحـرب أمـر جيـد».

اذً، ترامـب والقيـادة الأميركيـة تعلـم أن الانهيـار العالمـي للهيـكل المالـي قـادم، وأن هـذا النظـام ميـت مـن قبـل، ولـم يبـقَ سـوى انهيـار الهيـكل؛ ولذلـك نجـد أن أميـركا تخفـض دعمهـا للمنظمـات الدوليـة التـي أنشـأتها؛ وذلـك لأنهـا سـقطت منـذ زمـن ولا جـدوى مـن دعمهـا. وبذلـك نجـد أن سياسـة أميـركا هـي التـي تعجـل فـي الأزمـة الاقتصاديـة، وتـورط العالـم بحـروب لا قبـل لهـم بهـا. وترامـب يعلـم أن العالـم بأسـره مرتبـط باقتصـاده، والانهيـار سـيكون عامًـا وليـس خاصًـا.

وهنـا يمكـن القـول إن أميـركا تعتبـر نفسـها أنهـا تجهـزت لفتـرة الانهيـار، وبنظرهـا أن حملـة المبـدأ البديـل أي الأمـة الإسـلامية الآن فـي أضعـف حالاتهـا مـن تشـرذم وقصـور نظـر واعتـلاء الخونـة مناصـب الأمـة... لذلـك هـي تجهـز لتسـريع حالـة الانهيـار التـي تظـن أنهـا رسـمت كل مفاصلهـا التـي سـوف تـؤول إليهـا المنطقـة؛ ولذلـك أغلظـت العصـا علـى دول العالـم الكبـرى حتـى تنهكهـا قبـل الأزمة، وتفـرض عليهـا أثقـالًا فـوق أثقالهـا، فتعدمهـا الحركـة لفتـرة تسـمح لنفسـها اعتـلاء سـيادة العالـم مـن جديـد، وتكـرار هـذا المبـدأ المقيـت ولكـن بحلـة جديـدة ومكـر جديـد؛ فتكـون هـي المنتصـرة بعـد إشـعال الحـروب التـي لـن تكـون طرفًـا مشـاركًا فيهـا، بـل تديرهـا عـن بعـد حتـى تتدخـل فـي آخرهـا، وتكـون هـي التـي حافظـت علـى قدراتهـا واعتلـت عرشـها السـابق، ولـن تعـدم الوسـيلة للضغـط علـى الـدول لإدخالهـا فـي تلـك الحـروب.

بيـد أن أميـركا مازالـت متخوفة، فـإذا هي تأخـرت قليـلًا فـي تنفيـذ مخططها؛ فـإن ذلك سـوف يعطـي فرصـة للطـرف الآخـر (الإسـلام) مـن أخـذ أنفاسـه مـن جديـد، وعـودة الصحـوة علـى مسـتوى الأمـة برمتهـا، وحينهـا سـوف ينتصـرون؛ لذلـك هـي تحـاول خنـق كل الدعـاة المخلصيـن الذيـن يعملـون ليـلًا ونهـارًا علـى توعيـة الأمـة، ويحملـون المبـدأ الصحيـح حمـلًا صحيحًـا، فكـرة وطريقـة مـن جنسـها، وهـم لا يسـتطيعون تشـويه هـذا الحـزب العظيـم «**حـزب التحريـر**»، ومـع كل مـا يمتلكـون مـن قـوة وإعـلام خبيـث فإنهـم يعلمـون أنـه إذا سـلط الضـوء ضدهـم سـوف ينتشـرون بقـوة أفكارهـم، وسـتقبل الأمـة عليهـم؛ لذلـك هـم يعتقلـون أفـراده ويعذبونهـم ويحاربونهـم علـى أنهـم مثـل خلافـة البغـدادي المزعومـة، وأنهـم مـن يثيـر الثـورات التـي خربـت ممتلـكات هـذه الأمـة؛ ولذلـك نجـد أنهـم يعملـون ليـلًا ونهـارًا بقـوة لدراسـة ووضـع الخطـط لكيفيـة إنهـاء

تحركات المخلصين. وفي هذا المجال نجد تقرير CEP (counter extremisn project) الصادر بحق حزب التحرير في حزيران ٢٠١٨م، وأيضًا تقرير AFPC(american foreign policy council وقد أقرت هذه المراكز عن حزب التحرير ما يلي:

- لا تستطيع الحكومات مكافحتهم منفردة لأنهم تنظيم عالمي، ولا يدعون إلى العنف، ولهم تنظيم هرمي يقدر بأكثر من مليون عضو في جميع أنحاء العالم، ولديهم نظام سياسي للخلافة التي يدعون لها، ولا يعترفون بخلافة لا تطبق شرع الله كاملًا.

- يعتمدون مراحل في دعوتهم مستمدة من سيرة رسولهم. وأنصارهم بتزايد كبير، ولهم نشاط إلكتروني منقطع النظير، ويضربون لذلك مثلًا المهندس إسماعيل الوحواح.

- إنهم منظمون ويحملون فكرًا واحدًا، ويصعب اختراقهم، ومحاربتهم يجب أن تكون عالمية، وهذا ما تسعى له أميركا في هذه الأيام.

ونقول لأميركا ولمن لفَّ لفَّها، ما هو قادم سوف يتحقق بإذن الله لمصلحة هذه الأمة، ونصرها قريب جدًا بإذن الله، فكما ملأتم العالم جورًا وظلمًا، وحولتم الإنسان إلى عبد لشهواته ولماله ولكل شيء سوى الله، فإننا قادمون لنملأ العالم عدلًا ونورًا، ونطبق شرع رب هذا الكون، ونخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

إننا في «حزب التحرير» نعلنها مدوية: إننا صابرون صامدون وحاملون لهذا الفكر ومتصدرون به لإقامة الخلافة الراشدة التي وعدنا الله بها. ونسأل الله عزَّ وجلَّ أن يكلِّل هذه المحاولات بالنجاح، وبتسلم قيادة هذه الأمة، وأن ينصرنا في هذه المواجهة الشرسة بين الحق والباطل، ويدحض الباطل ويضل أعماله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ٣٦﴾.

ياشباب هذه الأمة المعطاءة، لقد أثبتُّم أنكم مضحون وتبذلون الغالي والنفيس في سبيل الله، واليوم يومكم، فلم يبقَ إلا القليل وقد انكشف عور كل خائن وكل مخطئ، وأصبحت الرؤية واضحة لمن أراد أن ينأى بنفسه وينخرط في الطريق الصحيح، طريق رسولنا الكريم، طريق الحق، فوعد الله قد ظهرت بشائره فكونوا مع الركب.

يا شباب هذا الحزب العظيم: اصبروا وصابرو فإن العاصفة في ذروة هيجانها، وإن التمسك بما أمرنا الله هو المنجاة لنا ولهذه الأمة، قال تعالى: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ وكونوا أحباب رسول الله بتطبيق شرعه، وإقامة دولته لينصركم الله كما وعد، ووعده الحق، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧﴾.■

العوامل الجغرافية لقوة الدولة وضعفها

دراسة بدائية ومختصرة (٣)

عبد الحميد عبد الحميد

الدولة مؤسسة تستمد هيبتها من ثقة الأمة التي شكلتها بهدف تحقيق طموحاتها داخل حدودها وخارجها، فلا بد من حيازتها قوة تمكنها من تحقيق تلك الطموحات.. وهذه دراسة بدائية ومختصرة لأهم العوامل الجغرافية لقوة الدولة وضعفها، لخصتها من أحد كتب الجغرافيا السياسية، لتنبيه الشباب عليها، وتكون نواة لدراسات تالية متخصصة ومعمقة.

وقد تناولنا في العددين السابقين العوامل التالية: الموقع الجغرافي للدول، ومساحتها، وشكلها، والتضاريس، السهول، والجبال، والموارد الطبيعية، والمناخ، والعامل الاقتصادي. وسنتناول في هذا العدد العوامل الباقية التالية: العامل السكاني، والعامل السلالي، والعامل القومي، والعامل الديني، والعامل اللغوي.

٩ـ العامل السكاني:

لشعب الدولة الدور الرئيس في قيامها وبناء قوتها، من خلال قيامهم بالأعمال والأنشطة اللازمة لذلك. وتعد الثروة البشرية عامل قوة للدولة إذا توافر فيها عاملا الكم والنوع والتجانس القومي واللغوي والسلالي والديني، مما يمنحها القوة والاستقرار والتماسك الداخلي، وبذلك تكون دولة نموذجية، ولا تكاد هذه الصفات تتحقق في دولة واحدة. فالسكان هم الثروة الحقيقية للدولة التي يمكن لها من خلالها تحقيق ما تصبو إليه من طموحات سياسية عالمية، فمن خلالهم تستغل الموارد الطبيعية، وتهتم بالعلم والتقنية، وتحافظ على وجودها، وتوسع حدودها.

أ ـ التعداد العام للسكان:

إن وفرة التعداد السكاني للدولة بحد ذاتها تعد عامل قوة لها، بينما تشكل قلة ثروتها البشرية عامل ضعف لها لا يمكن تجاوزه ولو توافرت لديها بقية عناصر القوة من مساحة كبيرة كأستراليا مثلًا، أو مستوى عسكري وصناعي متطور كالبرتغال ذات الـ/٩٢٠٠٠/ كم^{٢} و/١١/ مليون نسمة حاليًا، والتي سيطرت خلال بداية الحقبة الاستعمارية على مساحات أكبر من مساحتها بعشرات المرات في أفريقيا وأميركا الجنوبية، لكنها وبسبب نقص

ثروتها البشرية كانت أول الدول التي تخلت عن مستعمراتها لصالح بريطانيا ذات الـ/٢٤٣٠٠٠/ كم٢ و/٦٥/ مليون نسمة، والتي احتفظت بمستعمراتها إلى منتصف القرن الماضي، وفقدت معظمها لصالح الولايات المتحدة.

ب ـ التركيب السكاني:

تختلف الدول عن بعضها في مستوى الزيادة الطبيعية للسكان. ففي الدول الصناعية الغربية تقل كثيرًا هذه النسبة، مما يجعل المتقدمين في العمر يحتلون القاعدة العريضة من الهرم السكاني. حيث يساعد على ذلك التقدم الاقتصادي والطبي، وتسببه أصلًا عوامل ثقافية واجتماعية تحد من الزواج والإنجاب، مما يجعل الشعب يصل إلى مرحلة الشيخوخة لصغر القاعدة التي يحتلها الشباب في الهرم السكاني لقلة الولادات، مما يدعو هذه الدول كالسويد والدانمارك إلى إطلاق البرامج التثقيفية الاجتماعية التي تشجع على الزواج والإنجاب. وهذا على عكس الدول المتخلفة صناعيًا، حيث تفوق نسبة الولادات نسبة الوفيات ويقل متوسط عمر الفرد، مما يقلل من عدد المتقدمين في العمر نسبة إلى عدد الشباب والصغار.

ويترتب على هذا الاختلاف بين الدول اختلاف في وجهات نظر شعوبها بين المحافظة على القديم المرتبط عادة بكبار السن، وبين الثورة من أجل التغيير واستخدام العنف المرتبط بالشباب. وعلى اعتبار أن الشباب هم أداة الدولة الفعَّالة في جميع أنشطتها الاقتصادية والعسكرية، فوفرة عدد الشباب تشكل عامل قوة في الدولة.

وبملاحظة أن البلدان التي يكثر فيها الشباب ويقل الشيوخ تتصف بعدم الاستقرار السياسي والاقتصادي، وأنها تكون مستباحة سياسيًا وعسكريًا واقتصاديًا من قبل الدول الصناعية، فأجواء الثورة على الأوضاع القائمة مهيأة جدًا في هذه البلدان. وعلى اعتبار أن هذه البلدان المتخلفة صناعيًا تتميز بارتفاع نسبة الذكور على الإناث، فهذا يمنحها القدرة على تقديم ما يلزم من الضحايا البشرية على مذابح الثورة والتغيير دون أن يتأثر نموها بالخلخلة الحاصلة في صفوف الرجال. فالشعوب التي تفقد الكثير من شبابها في ثوراتها وحركات التحرر سرعان ما تعوض النقص الحاصل عبر التزايد السكاني الطبيعي. وخير مثال على ذلك الزيادة السكانية الأعلى في العالم التي حاز عليها الفلسطينيون وبلغت نسبة ٤٠ ‰، بينما تبلغ في الدانمارك ٨ ‰. وزيادة النساء على الرجال في دول الشمال الصناعية يزيد أيضًا من قيم الانطواء على

الماضي والمحافظة على القديم، حيث يلاحظ أن النساء خلال عمليات الاقتراع دائمًا تقف إلى جانب اليمين والأحزاب المحافظة.

ج ـ التوزع الجغرافي للسكان:

يرتبط التوزع الجغرافي للسكان بالعوامل التضريسية والمناخية إضافة إلى العوامل الاقتصادية والاجتماعية. فالإنسان يجنح دائمًا إلى العيش في ظل ظروف مناخية مريحة، ومساعدة له في نفس الوقت على تأمين ضروراته الحياتية وتطوره المادي والفكري واستقراره الاجتماعي والنفسي؛ لذلك نجد المناطق الخصبة ذات الحرارة والرطوبة الكافيتين لقيام زراعة جيدة هي التي تكون آهلة بالسكان أكثر من غيرها، وبشكل خاص مناطق الترب الحقلية في أودية الأنهار، حيث تكون الكثافة السكانية في أعلى قيمها لتوافر الماء والتربة الجيدة والحرارة المعتدلة، كما هو قائم في مجرى وادي النيل الأدنى. وفي سوريا نجد أن الكثرة الساحقة من السكان متواجدة غرب خط الأمطار الكافي للزراعة البعلية، وهو الخط الممتد من شمال البلاد إلى جنوبها متماشيًا تقريبًا مع الطريق المعبد الواصل بين حلب ودمشق مرورًا بحماة وحمص ووصولًا إلى درعا؛ حيث تكثر غرب هذا الخط المراكز السكنية الكبيرة، في حين أن شرقه ذو كثافة سكانية قليلة، مع وجود النظام الرعوي لقلة المعدل السنوي للأمطار الذي لا يسمح بقيام الزراعات البعلية.

أما العامل الاقتصادي الاجتماعي فغالبًا ما يلعب دوره في الإغراءات التي يتعرض لها سكان الأرياف من قبل الإمكانات التي تقدمها المدينة القائمة على أعمال الصناعة والتجارة وتوافر فرص العمل المأجور أكثر من الريف، مما يؤدي إلى تفاقم الهجرة؛ حيث يشكل المهاجرون حول المدينة سورًا من الأحياء الشعبية غير المنظمة وغير المخدمة كذلك، إضافة إلى إفراغ الأراضي الزراعية من اليد العاملة وتراجع الإنتاج الزراعي مع تزايد عدد المستهلكين. وهذه ظاهرة عالمية نجدها عند معظم الدول. ففي فرنسا يشكل سكان الريف نسبة ٢٠٪ من مجموع السكان، وفي إيطاليا ٣٠٪ وفي الولايات المتحدة ٢٥٪.

وإذا ما نظرنا إلى التوزع السكاني حسب مساحة البلد نجد أن بعض الدول الكبيرة ككندا وأستراليا والصين يتركز سكانها في منطقة واحدة أو اثنتين على حساب المساحة العامة شبه الخالية من السكان. فالصين البالغ عدد سكانها /١,٤/ مليار نسمة، والتي تصل كثافتها السكانية إلى /٨٨/ شخصًا في الكم٢، نجد أن خُمس

مساحتها تقريبًا غير مأهول بالسكان في شمالها الغربي؛ حيث إقليم تركستان الشرقية المسلم ذو المساحة البالغة /١,٨/ مليون كم٢، بينما لا يزيد عدد سكانه على /٢٥/ مليون نسمة.

إن هذا التوزع السكاني غير المتناسب مع المساحة يشكل نقطة ضعف للدول، ويسبب لها العديد من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية؛ حيث تضطر الدول إلى وضع خطط التنمية التي عادة ما تكون منصبة على المناطق ذات الكثافة السكانية الكبيرة على حساب بقية المناطق الأخرى، وهذا ما يجعل من بعض مناطق الدولة متقدمة اقتصاديًا وخدميًا، وبالتالي مختلفة اجتماعيًا عن بقية مناطق الدولة.

ومن المشكلات الأخرى التي تخلقها معدّلات التمدّن (أي سكنى المدن) العالية هو الوضع الاقتصادي والاجتماعي السيئ للمهاجرين إلى المدينة، مما يجعل من تجمعاتهم الفقيرة والمحرومة بيئة حاضنة ومستقبلة لأفكار التغيير السياسي والثورات، في حين تكون المناطق الأكثر راحة اقتصاديًا أكثر محافظة على واقعها. ومنها كذلك ازدياد تلوث الهواء والماء بنفايات المراكز السكنية الكبيرة ومناطقها الصناعية. فسكان الولايات المتحدة البالغ عددهم /٣٢٥/ مليون نسمة، والذين يشكلون واحدًا إلى عشرين تقريبًا من سكان العالم، يشكّل نصيبهم من تلوث البيئة ثلث التلوث العالمي.

د ـ التركيب الأنثروبولوجي للسكان:

يشكل التركيب الأنثروبولوجي للسكان عامل قوة كبير للدولة إذا ما كان المواطنون متجانسين في أصولهم البشرية واللغوية والدينية، مما يجعل منهم وحدة متماسكة بعيدًا عن الاضطرابات الداخلية. بينما إن لم يكونوا متجانسين فالدولة تكون معرضة لحركات التمرد والانفصال والحروب الأهلية. وغالبًا ما تظهر أعراض عدم التجانس هذا في الدول الضعيفة غير القادرة بهيبتها على ضبط هذه الاختلافات بين المواطنين وعدم السماح باستغلالها من قبل الأعداء.

١ـ العامل السلالي:

تقسم البشرية حسب الدراسات الحديثة إلى ثلاث مجموعات سلالية كبيرة، هي المجموعة الأوروبية، والمجموعة المغولية، والمجموعة الأفريقية. وتتصف كل مجموعة بصفات شكلية تنتقل بالوراثة، وتجعل من أفرادها يختلفون شكليًا عن غيرهم من أفراد المجموعتين الباقيتين. فالمجموعة السلالية الأوروبية ينتشر أفرادها من الهند إلى شمال غرب أوروبا بما في ذلك الشمال العربي الأفريقي. أما المجموعة السلالية الأفريقية فلا توجد إلا

في القارة السمراء جنوب منطقة الصحراء الكبرى. وأما المجموعة السلالية المغولية فينتشر أفرادها في شرق وجنوب شرق وشمال شرق القارة الآسيوية.

إن التجانس السلالي إذا ما تحقق عند رعايا الدولة فإن في ذلك قوة لها، والعكس صحيح. ومن أمثلة ذلك عدم التجانس السلالي في جنوب أفريقيا بين السكان السود الأصليين وبين حكامهم البيض سابقًا من المحتلين الإنكليز، والذي أدى إلى اضطرابات سياسية كبيرة، ما أدى إلى تغيير نظام الحكم. ومنه عدم التجانس القائم في الولايات المتحدة بين الحكام البيض ذوي الأصول الأوروبية وبين السود والملونين من ذوي الأصول الأفريقية والآسيوية، والذي يتفاقم خطره بتصدر الأوروبيين للمشهد السياسي والاقتصادي والثقافي والعسكري، وممارسة سياسة التفرقة العنصرية والتمييز ضد السود والملونين.

٢ـ العامل القومي:

إذا كان سكان الدولة من قومية واحدة كانت الدولة أكثر استقرارًا وأبعد عن الاضطرابات الداخلية التي ستشغلها عن التمدد والتوسع، على عكس الدول ذات القوميات المتعددة، إلا إذا كان أفراد هذه القوميات متساوين في الحقوق والواجبات أمام القانون.

ومن أمثلة ذلك بريطانيا التي يشكل الإنجليز فيها أربعة أخماس السكان، والخُمس الباقي يتكون من الإسكوتلنديين والإيرلنديين والويلزيين والغاليين، الذين حافظوا على عاداتهم وتقاليدهم ويختلفون بدياناتهم عن الإنجليز. فأغلب الإيرلنديين هم من الكاثوليك، والإسكوتلنديون من البروتستانت، وأما الإنجليز فمن أتباع الكنيسة الإنجليكانية. إضافة إلى أن الإيرلنديين هم جزء من جزيرة إيرلندة؛ حيث تعد إيرلندة الشمالية مستعمرة بحقّ لإنجلترا، وتسعى إلى الاستقلال عنها والانضمام إلى إيرلندة الجنوبية. هذا إضافة إلى القومية الغالية القريبة من الفرنسيين في اللغة والتقاليد والعادات. إلا أن ما يبعد عن الدولة البريطانية الاضطرابات الداخلية قوة الدولة وموقعها الجزري الذي لا يساعد على تقديم المعونة لمن يريد الاستقلال من قومياتها، فلو كانت بلاد الإنجليز متصلة بأراضٍ قارية لكانت روح الانفصال نامية عند الإسكوتلنديين والغال والويلزيين أكثر مما هي عليه الآن. أما بالنسبة للإيرلنديين فإن انفصالهم عن الجزيرة الإنجليزية واتصالهم البري بوطنهم الأم ينبه فيهم شعورهم القومي ويدفعهم إلى المطالبة الدائمة بنيل الاستقلال. ومعلوم ما كان يشكله الجيش الجمهوري الإيرلندي

من خطر على استمرار انضمام إيرلندة الشمالية إلى المملكة المتحدة.

أما كندا التي يشكل فيها الإنجليز ٤٠٪ والفرنسيون ٣٠٪، فنجد الفرنسيين دائمي المطالبة بالانفصال عن الجانب الإنجليزي مدعومين من قبل فرنسا، فهم يشكلون منطقة التجمعات السكنية الأولى كيبك، ولا زالوا محافظين على عاداتهم وتقاليدهم ولغتهم وكاثوليكيتهم في ظل تصدر الإنجليز البروتستانت للحياة السياسية والاقتصادية.

٣ـ العامل الديني:

يمنح الدين الواحد الدولة مزيدًا من القوة والتماسك الداخلي، على عكس الدول متعددة الأديان، وخصوصًا إذا ما رافق ذلك اختلاف في اللغة والقومية، وكانت الدولة ضعيفة بما يسمح بالتدخل الخارجي. ومن أمثلتها ما استطاعت الدول الغربية خلقه من فتن بين الطوائف في لبنان أواخر الدولة العثمانية، وكذلك الجزيرة القبرصية الممزقة بين الطائفة اليونانية بلغتها القومية ودينها المسيحي، والطائفة التركية بلغتها القومية ودينها الإسلامي.

وهناك الهند التي تتميز بتنوع ديني حيث يشكل الهندوس نسبة ٨٠٪ من مجموع السكان، ويشكل المسلمون ١٣٪، إضافة إلى وجود المسيحيين والسيخ والبوذيين بنسب قليلة، إضافةً إلى ما تعانيه من التفرقة القومية واللغوية الحادة لدرجة يصعب معها التخاطب بين السكان إذا ما انتقلوا من جهة إلى أخرى في ذلك البلد الكبير. فعلى الرغم من أن نسبة ٤٢٪ من السكان يتكلمون اللغة الهندية، إلا أن الدستور يعترف بـ/١٥/ لغة رئيسة أخرى و/٧٢٠/ لهجة و/٧٢/ لغة ثانوية و/٢٤/ لغة قبلية. ولذلك فالهند تعد مهيأة للتشظي والتفتت إذا ما ضعفت الحكومة المركزية ووجد من العوامل الخارجية ما يدفع إلى ذلك.

٤ـ العامل اللغوي:

تعد اللغة عاملًا جامعًا بين الناطقين بها، فتولد فيما بينهم شعورًا بالقربى والتعاطف. ومثالها البارز ما هو قائم بين المسلمين، حيث تشكل الثقافة الإسلامية بثوبها العربي جزءًا أصيلًا من تاريخهم وشخصيتهم الحضارية، وعاملًا موحّدًا لهم جميعًا إذا ما أرادوا يومًا الانضواء تحت دولة واحدة ذات نظام إسلامي هي دولة الخلافة.

في الختام يجب التذكير بأن هذه كانت دراسة بدائية ومختصرة، وينبغي أن تكون نواة لدراسات متخصصة ومعمقة في مواضيعها المختلفة. وعلى الله قصد السبيل. [انتهى البحث]■

الخطـــابة: ما لها، وما عليها

عبدالرحمن العامري- اليمن

تتنوع الأساليب والوسائل، والتي تنشر من خلالها الأفكار، فتارة تستخدم الكتابة في الصحف والمجلات والإنترنت والإعلانات عبر المقالات والمواضيع والقصائد، وتارة عبر الفيديوهات والتسجيلات، وتارة عبر الخطب والدروس والمحاضرات وغيرها من تلك الأساليب والوسائل. أما على مستوى الخطابة فقد وصلت حالة الخطابة إلى حالة يرثى لها، وصلت إلى أدنى مستوى من الانحطاط لتعكس الواقع الذي نعيشه، فذاك خطيب يخطب خطبة ويفرغ لها ساعة كاملة وهو جاهل بأحكام الخطبة من أن الأصل فيها القصر وليس الإطالة، وذاك يتحدث عن موضوع الطهارة والحيض والصلاة والحج والصيام والزكاة... وهذه رغم أهميتها فقد تشبَّعت منها الأمة، وهناك ما هو أهم وأعظم منها من استيلاء الغرب على مقدرات المسلمين واحتلال أراضيهم واغتصاب نسائهم في بورما والعراق وأفغانستان وأوزباكستان وفلسطين، ولا يتحدث بهذا وذاك، تراه يلهب مشاعر المسلمين دون فكر ودون علاج للمشكلة التي يطرحها، فيخرج المستمع وكأنه طبل أجوف، وذاك يلحن في صوته الجميل على المنبر وكأن المنبر للحن، وذاك يجعل خطبته لدعوة مذهبية عفنة مقيتة يحقق بها أغراض الغرب بدلًا من الدعوة لوحدة المسلمين وإقامة دولتهم.

إن ما أصاب الأمة وخطباءها بشكل خاص كان بفعل عوامل عدة منها: هدم دولة الإسلام وترك الحكم به؛ مما أوجد حكمًا غير حكم الإسلام؛ فلا اهتمام بالإسلام وأفكاره، ومنه الخطباء الذين لا راعي لهم يرعى شؤونهم؛ فيقوي محاسنهم وينقد مساوئهم نقدًا فيه البناء، وكذلك انحطاط المستوى الفكري للخطيب، سواء أحكام الإسلام، أم فقه اللغة العربية، وكذلك عدم فهمهم للواقع المعاش ومن ثم إصدار الأحكام عليه، وكذلك تعيين الخطباء المأجورين من قبل الدول الحالية العميلة فتملى عليهم الأفكار والتعليمات التي يسوقها لهم الغرب؛ فيبتغون رضى ووجه هذا الغرب وحكامه التابعين، وكذلك هناك عامل خوف الخطباء من قول الحق خشية من بطش الحكام.

لذلك كانت المقدمة السابقة مدعاة لي لكتابة هذا الموضوع ابتغاء وجه الله، ثم التغيير لهذا السلوك غير السوي الذي ينتهجه هؤلاء الخطباء، هدانا وهداهم الله ليغيروا من مسار خطبتهم، فتكون

خطب نافعة تنفع الأمة وتسوقها إلى كل خير، فيخرج المستمع من الخطبة بفكر إسلامي صحيح ومشاعر إسلامية صحيحة؛ لتتشكل بهذا الفكر والمشاعر شخصية إسلامية تغير وتقود المجتمع إلى كل خير وإلى كل نهضة صحيحة. فيا ترى، كم هي عدد الخطب التي يخطبها الخطباء؟؟ لا شك إنها بالآلاف وبالملايين، فهي بعدد الجوامع، فلو كانت تؤدى هذه الخطب على الوجه الأكمل والصحيح لساهمت في إيجاد نهضة ليست بالقليلة لهذه الأمة المكلومة.

الخطابة لغة هي علم البلاغة والبيان. وفن الخطابة هو فن إقناع الناس وإدهاشهم، إما بالكلام وإما بالكتابة، ويمكن تعريف الخطابة بأنها كل ما يشتمل على كلام أو كتابة يتم التفنن بها لتغمر وجدان السامع. وإيجازًا هي فن مخاطبة الجماهير للتاثير عليهم واستمالتهم. والخطابة لها أساسيات، منها المشافهة ووجود جمهور مستمع وتوفير عنصرَي الإقناع والاستمالة بوجود البراهين والأدلة. والاستمالة تكون إما بتهييج المشاعر باتجاه ما يقال أوتهدئة نفوسهم، هذا وقد خلق الله الإنسان باستعداد فطري للتعبير وإقناع الغير برأيه، وقد كان الرواد الأول في هذا هم الأنبياء والرسل، فقد كانوا يخاطبون أقوامهم لإقناعهم بما يحملون من فكر يمثل عقيدة، هذا وقد اشتهر العرب بفن الخطابة باستخدامهم للسجع في الدفاع عن أنفسهم من خلال المفاخرة والاستعراض بما كانوا يشتهرون، وهو الفصاحة والبيان، فهي صفة فطرية، وكذلك كانت تستخدم الخطابة في المجادلة والحوار الشديد والحروب والدفاع عن العرض والمال والنفس والكرامة.

أما الإسلام فقد أولى للخطابة أهمية كبيرة كونها تحقق استجابة عظيمة من قبل الناس، فقد استخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم الخطابة في دعوته الناس للإسلام، لا سيما في المناسبات الدينية، فجاء الإسلام يهذب ما كانت عليه الخطابة في الجاهلية فيشربها فكر الإسلام العظيم، فكانت خطبة الجمعة والعيدين، وكان فكرها مستمدًا من مفاهيم القرآن الكريم وأحاديث الرسول الكريم، صلوات ربي وسلامه عليه، فكانت تدعو إلى اتباع الدين والتمسك به، وتدعو للعمل للآخرة، وإعلاء كلمة الحق وإقامة دولته لتطبق أحكام الإسلام بها، وتحذر المسلمين من الانحدار والانزلاق في طرق الشهوات، فوصلت الخطابة إلى أعلى طبقات البلاغة، فكانت أسلوبًا مؤثرًا ومتينًا ومقنعًا، خاصة خطب الخلفاء الراشدين والصحابة الكرام والتابعين، مثل زياد بن أبيه والحجاج بن يوسف الثقفي وأبي حمزة الشاري .

وهناك بعض الشروط الواجب توفرها لدى الخطيب حتى تكون خطبته ناجعة تحقق الأثر الأكبر في المجتمع وهي:

١- قدرة الخطيب على استمالة وإقناع الناس، وكذلك الوقار، والصدق، والوفاء، والأمانة، والهمة العالية، والصراحة والوضوح.

٢- طلاقة اللسان والتحدث بلباقة دون تعتعة والفأفأة والبعد عن الثرثرة.

٣- المعرفة بالقرآن الكريم وعلومه وتفسيره وأحكامه، والمعرفة كذلك بالحديث الشريف.

٤- الصوت الحسن والمريح والمقبول دون تكلف وتصنع وتلحين.

٥- الجرأة في الكلام وقول الحق، وعدم الخجل أو ضعف القلب، وعدم مجاملة الأنظمة وبيان خطئها.

٦- معرفة أحكام الإسلام وخاصة في القضايا المعاصرة.

٧- معرفة الواقع السياسي وحكم الشرع فيه.

٨- عدم إطالة الخطبة، فهي خطبة وليست محاضرة جامعية، فخير الكلام ما قل ودل، فأن توجز بخير الكلام أفضل من الإطالة بخير الكلام، وأن تنتهي الخطبة والناس متشوقون لك خير من أن تنتهي والناس ضجرون وكارهون لك، فقد جاء في حديث عمار عند مسلم قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه، فأطيلوا الصلاة وأقصروا الخطبة، وإن من البيان سحرًا**». وكذلك حديث جابر بن سمرة قال: **كنت أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانت صلاته قصدًا وخطبته قصدًا**. رواه مسلم، والقصد في الصلاة أو الخطبة أي أن تكون الصلاة أطول من الخطبة. وقد ورد عن صلاة الرسول صلى الله عليه وسلم في صلاة الجمعة، عن أبي هريرة أنه كان يقرأ سورة الجمعة والمنافقون، وفي حديث النعمان بن بشير كان يقرأ الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية. وحديث ابن عباس بيَّن أنها سورة المنافقين والجمعة. فالأحاديث السابقة تدل على أن أطول صلاة جمعة تقرأ فيها سورة المنافقون والجمعة إضافة لفاتحتين وسجودين وركوعين وتشهد وصلاة إبراهيمية. أما أقصر صلاة للجمعة فجميع ما سبق وباستبدال المنافقون والجمعة بالأعلى والغاشية . وبالتالي يمكن تقدير الصلاة بقراءة السور السابقة، فلا داعي للإطالة.

٩- اختيار موضوع مناسب للخطبة، وهو ما يحتاجه الناس من علاج لمشاكلهم، فقد تكون المشكلة في العقيدة فتحتاج ما يركزها من أفكار، أو تكون المشكلة كشفًا لواقع، أو موقفًا سياسيًا، أو تركيزًا

لفكر، أو كشفًا وتوضيحًا لفكر خاطئ يبين الحق فيه... فلا بد من اختيار الموضوع الهام والرئيسي وليس الفرعي.

١٠- بث روح الأمل في الأمة، والمعارك التي انتصر فيها المسلمون.

١١- استعمال الأسلوب الخطابي، لا أسلوب الدرس أو المحاضرة أو المقالة أو القصص أو الشعر... مع استخدام الأسلوب الانفعالي بحسب ما تتطلبه الفكرة.

١٢- الحرص على تجنب اللحن، فإنه يقبح بالخطيب أن يلحن في كلامه، وأشد قبحًا اللحن في قراءة القرآن على المنبر.

١٣- عدم رفع اليدين بالنسبة للخطيب عند الدعاء والاكتفاء بالإشارة فقط بسبابته.

١٤- الهيئة الحسنة.

وهذا نموذج لخطبة الجمعة:

بسم الله الرحمن الرحيم

١- عنوان الخطبة: زيف وفساد ما يسمى برابطة الوطن.

٢- المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، رب العرش الكريم، ناصر المتقين وهازم الظالمين والكافرين والمنافقين، القائل في محكم كتابه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ ويقول جلَّ من قائل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾، والصلاة والسلام على النبي المجتبى، محمدٍ صلى عليك الله في علاه يا نور الهدى، صلوات ربي وسلامه عليك يا أيها النبي المصطفى. اللهم صلِّ على سيِّد الورى، محمدٍ وعلى آله وصحبة وسلِّم وبعد.

٣- الموضوع:

أيها المسلمون، يتقاتل المسلمون اليوم في شتى بقاع الأرض على حدود وضعها الغرب الكافر المستعمر ليفصل بلاد المسلمين بعضها عن بعض: بين اليمن والحجاز، وبين مصر والسودان، وبين إيران والإمارات... نعم، إنها حدود حدَّتها بريطانيا وفرنسا في اتفاقية سايكس بيكو عندما سقطت الخلافة العثمانية عام ١٩٢٤م؛ لتجزِّيءَ الأمة وتشطرَها إلى أكثر من ٥٧ دويلة، لكي يسهل على أعدائها النيل من قوتها واقتصادها وفكرها وكل مقوماتها، فتكون لقمة سائغة في فاه هذا الوحش الاستعماري البغيض. وهذا الغرب، لكي يعمل على تثبيت هذه الحدود، أوجد بين شعوب هذه الدول المصطنعة رابطة فاسدة هي ليست برابطة، ولا تصلح لأن تكون ميثاقًا يوثّق بين

المسلمين، ولا حتى رابطة تربط بين البشر حينما يسيرون في طريقة النهوض. نعم، إنها رابطة ما يسمى بالوطن، الرابطة الوطنية. لقد خلق الله عز وجل الإنسان، وجعل فيه خواص خاصة به، هي الحاجات العضوية والغرائز. ومن هذه الغرائز غريزة حب الإنسان لبقعة معينة من الأرض بسبب التصاقه بها، فاستُغلت هذه الغريزة من قبل الكفار المستعمرين ليبنوا عليها فكرًا منحطًا، منشؤه غرائزي وعاطفي، وليس فكرًا مبدئيًا كمبدأ الإسلام الحنيف مثلًا، فيصبح حب هذه البقعة من الأرض وهي الوطن، أجَلَّ ما يقدسه أبناء هذه الشعوب، وهي بذلك ترسخ الفرقة والتجزئة والانقسام الذي وضعه الكافر ا لمستعمر، فهي تقسم بلاد المسلمين لِقِطَعٍ ودول، والله سبحانه يقول: ﴿وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ حيث لكل دولة حدود تفصلها عن غيرها من بلاد المسلمين، وتعتبر ما هو خارجها أجنبيًا، حتى وإن كان من المسلمين، فلا يحق لهذا المسلم الذي تَعدُّه أجنبيًا بالإقامة إلا بإذن ورسوم، وحتى دخوله بتأشيرة، ولا يحق له ما يحق لأبناء البلد من حقوق، حتى الزواج من نساء هذا البلد فهو غير مسموح في بعض البلاد. وكذلك حق الوظيفة والانتخاب غير مصرح به ومحظور. فأيُّ وطنية هذه يدعو لها المسلمون الغافلون؟! في الوقت الذي تتوحد فيه أوروبا ببطاقة، والصين تتوحد بتعداد سكاني يصل إلى أكثر من مليار نسمة بعدد يقرب من عدد سكان بلاد المسلمين، وتتوحد أميركا بولايات هي بعدد قريب من عدد دول وبلاد المسلمين ٥١ ولاية. نعم، أيها المسلمون، إنها بحق رابطة فاسدة لأسبابٍ شتى. وهي رابطة منخفضة ومنحطة فكريًا، أساسها ليس مبدأ الإسلام، بل أساس غرائزي عاطفي يوجد في الطير والحيوان، ثم إنها عاطفية مشاعرية وليست عقلية تتميز بفكر، ثم إنها مؤقتة تظهر في وقت الحرب، فتجمع بين الوطني والوطني وقت الحرب والمشاكل، أما في السلم فلا أثر لها. فكيف نأمن على أنفسنا برابطة من أبرز صفاتها تجزيء الأمة، وتوجد الفرقة والتعصب، والله عز وجل يذمُّها في كثير من الآيات والأحاديث.

قال تعالى:﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾ فكيف يكون الاعتصام بحبل الله وعدم التفرق في دول متفرقة زرعها الاستعمار وزرع فيها ما يفرقها، ألا وهي رابطة الوطن بدلًا من رابطة الإسلام الأشمل والأكمل والأوسع. ويقول خير البشر، صلوات ربي وسلامه عليه: «**ليس منا من دعا إلى عصبية**»، ويقول: «**دعوها،**

فإنها منتنة» إن هذا الحديث كانت له مناسبة، وهي أن يهوديًا لئيمًا أحبَّ أن يوقع بين الأنصار وهم الأوس والخرزج، الفرقة والضغينة والاقتتال؛ حيث ذكَّرهم فيما كان بينهم من اقتتال أيام الجاهلية، وكيف كانا يتقاتلان، وكيف يقتل بعضهم الآخر، فتذكَّرا ذلك، وكانا على وشك الاقتتال لولا أن أنقذهما رسول الرحمة صلى الله عليه وسلم بمعرفته لغرض هذا الخبيث الذي كان ينوي الإيقاع بين الأوس والخزرج، فعرف الحيلة وكشفها، وقد غضب صلوات ربي وسلامه عليه واحمرَّ وجهه وقال «**أبدعوى الجاهلية تبغون وأنا بين ظهرانيكم... دعوها إنها منتنة»** فكان التعصب إلى القوم أو الوطن أو الحزب أو القبيلة أو الجنس أو المذهب حرامًا شرعًا، فلا يجوز هذا لأنه من باب التفرقة التي ذمَّها الشرع ولم يحمدها، وهناك دعوات ضالَّة مضِلَّة تدعو إلى رفع رايات عصبية وعنصرية لما قبل الاسلام، كالدعوة للفرعونية والأشورية والآرامينية والحميرية والسبئية، فهي دعوات باطلة، وروابط ما أنزل الله بها من سلطان، ولم يجعلها الشرع روابط تصلح لأن تربط بين بني الإنسان حينما يريد أن يسير في طريق النهضة، بل هي روابط تدعو لعصبيات وعنصريات ومشاكل. نعم، فقد كان رسول الأمة حاضرًا بين الأوس والخزرج، فأنقذهم من الوقوع في الكارثة العظمى، وهي ضرب المسلمين رقاب بعضهم بعضًا. فمن ينقذنا نحن اليوم من التفرقة والتشرذم والاقتتال؟ أليست أوامر الله ونواهيه من الآيات والأحاديث، أي أحكام الشرع، هي التي تنقذنا من كل مشاكل الحياة؟.

إن محمدًا صلى الله عليه وسلم وحَّد المسلمين باختلاف أعراقهم وأجناسهم في دولة واحدة، هي دولة الإسلام، فبلال الحبشي، وصهيب الرومي، وعلي القرشي، وسلمان الفارسي، وعمر العربي، لم تكن لكل واحد منهم دولة أو راية، كما هو حالنا اليوم: فأن يكون لكل دولة حدود وعلم وجوازات وقوانين وضعية فليست من الإسلام في شيء، لا من قريب ولا من بعيد. نعم، بل كان لهم راية واحدة هي راية العقاب، راية لا إله إلا الله محمد رسول الله. عاش عليها ومات سيد البشر. ولو تساءلنا: ما معنى أن يكون لبلاد المسلمين قرابة ٥٧ راية، أحمر وأخضر وأصفر وأسود وأبيض؟ أليس معناه التفرق والتشرذم؟ أليس معناه أن لكل دولة شعبًا يوالي ويدافع ويحب ويتعصب... لهذا العلَم، ويقاتل من بجانبه من أجل هذه الراية العمياء، ومن أجل هذا الحاكم الذي زرعه الكافر المستعمر؟! وما معنى أن تكون لنا راية واحدة، راية الحق، راية لا إله إلا الله محمد رسول الله؟ ألسنا أمة واحدة من دون الناس، يجير أعلاهم أدناهم، والعكس صحيح، ومعناه أيضًا أن عقيدتنا واحدة هي عقيدة الإسلام، هي راية رسول الله صلى

اللـه عليـه وسـلم، وإن حقوقنـا وواجباتنـا واحـدة دون تمييـز، ولا كرامـة إلا للتقـوى؟. أليـس معنـاه أن لنـا إلهًـا واحـدًا، وكتابًـا واحـدًا، ورسـولًا واحـدًا؟. أليـس معنـاه سـلمنا واحـدة وحربنـا واحـدة؟ أليـس معنـاه أن اقتصادنـا وحكمنـا وسياسـتنا وتعليمنـا وثقافتنـا وقضاءنـا وتطبيبنـا وقضاءنـا وجيشـنا وكل مصالحنـا واحـدة لا تتجـزأ؟.

٤- العلاج:

أيها المسلمون، في نهاية هذه الخطبة نؤكد لكم:

- إن الرابطـة الحـق هـي رابطـة المبـدأ الصحيـح، وإن مبدأنـا هـو الإسـلام، وهـي رابطـة لا إلـه إلا اللـه محمـد رسـول اللـه التـي كان يحملهـا رسـول الرحمـة صلـوات ربـي وسـلامه عليـه.

- نبـذ كل رابطـة غيـر رابطـة الإسـلام، كرابطـة الوطـن والقوميـة والمصلحيـة والروحيـة؛ لأنهـا روابـط ناقصـة، فكرهـا منحـطٌّ مـن وضـع بشـر، ليسـت مثـل رابطـة مبـدأ الإسـلام الـذي هـو مـن عنـد اللـه.

- نبـذ كل فكـر خاطـئ كفكـر الوطنيـة والجمهوريـة والديمقراطيـة... فكلهـا أفكار رأسـمالية دخيلـة علـى الإسـلام، ونشـر فكـر الإسـلام المنقـذ، ليـس فقـط للمسـلمين، بـل للبشـرية جمعـاء، قـال تعالـى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾.

هـذا ألا وصلُّوا علـى مـن أُمرنـا بالصـلاة عليـه، قـال تعالـى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾.

٥- الدعاء:

اللهـم ردنـا إليـك ردًا جميـلًا، اللهـم إنـك عفـوٌّ تحـب العفـو فاعفُ عنـا، واغفـر لنـا خطايانا، واختـم بالصالحـات أعمالنـا، اللهـم ووحِّـد بـلاد المسـلمين، وأقـم دولـة الإسـلام التـي وعدتنـا بهـا فـي محكـم كتابـك، يـا مـن قلـتَ، وقولُـك الحـقُّ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥﴾ وبشَّـرتنا بهـا علـى لسـان رسـولك، دولـةً توحِّـد بهـا القلـوب والعقـول، وتزيـل بهـا الحـدود، وتنقـذ وتنقـل النـاس مـن عذابـات الرأسـمالية إلـى رحمـة الإسـلام، إنـك سـميع قريـب.

إن اللـه يأمركـم بثـلاث، وينهاكـم عـن ثـلاث، إن اللـه يأمركـم بالعـدل والإحسـان وإيتـاء ذي القربـى، وينهاكـم عـن الفحشـاء والمنكـر والبغـي، يعظكـم لعلكـم تذكـرون.... أقـم الصـلاة.■

الحق اليقين في الكتاب المبين

(الإسلام: كلمة طيبة... كشجرة طيبة...)

حمد طبيب - بيت المقدس

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ٢٤ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ٢٥ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ٢٦ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ٢٧﴾

التفسير والبلاغة في الآيات الكريمة:

١- الخطاب الرباني في بداية الآية الكريمة جاء بصيغة السؤال اللافت للنظر، والمنبِّه للقارئ والسامع: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾؟! وكأنه يقول لمن يسمع ويقرأ: إن الأمر مشاهد محسوس معقول لكل ذي لبّ وتفكير... والسؤال هنا شمل أمورًا عدة في أنواع السؤال في سؤال واحد؛ أي إن السؤال أفاد معاني عدة، وليس معنى واحدًا، منها: (التنبيه، والإنكار، والتقرير)، وهذا من عظم بلاغة القرآن الكريم... وأبرز أمر في السؤال هو التنبيه.. أي انظر أيها الإنسان وتنبه وتفكر، وانظر بعقلك إلى الإسلام وأحكامه وشريعته، وقارن بينه وبين غيره من اعوجاج على وجه الأرض!!

٢- التمثيل في توضيح الصورة وإقامة الحجة: والتمثيل هنا أن الإسلام قد مثله الحق تبارك وتعالى بالكلمة الطيبة وبالشجرة الطيبة المثمرة - وفي

هـذا صـورة كاملـة مـن التمثيـل - وهـذا مـن أجـل أن يقيـم الحجـة علـى النـاس بطريقـة سـهلة ميسـورة، لأن التمثيـل فيـه تقريـب للصـورة فـي الذهـن.. والتمثيـل نفسـه قـد تضمـن صـورًا عديـدة... منهـا أن الكلمـة الطيبـة (ديـن الإسـلام) ثابتـة كالشـجرة الطيبـة وهـي النخلـة، وعاليـة، وتؤتـي الثمـار الحلـوة التـي تـدوم وتـؤكل علـى مـدار العـام... والتشـبيه التمثيلـي الثانـي هـو صـورة الكلمـة الخبيثـة، وهـي (ديـن الكفـر) حيـث شـبهها الحـق تعالـى بالشـجرة الخبيثـة التـي ليـس لهـا أصـل ثابـت ولا ثمـار طيبـة، ولا فائـدة منهـا، وفـي هـذا تشـبيه لتقريـب الصـور وإقامـة الحجـة...

٣- كلمـة ﴿ ٱجۡتُثَّتۡ ﴾؛ فـي تشـبيه الكلمـة الخبيثـة للدلالـة علـى مـوت الكفـر حيـث إنـه لا حيـاة فيـه، وهـي مأخـوذة مـن الجثـة الهامـدة التـي لا حـراك فيهـا ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ ﴾، وإذا اجتثـت لا تنبـت مـرة أخـرى؛ لأنـه ليـس لهـا أصـل ثابـت ولا قـرار...

٤- هنـاك دلالـة بلاغيـة فـي الأصـل الثابـت، وكلمـة اجتثـت، حيـث إن الأصـل الثابـت مهمـا حاولـت اسـتئصاله عـن وجـه الأرض؛ سـرعان مـا يعـود وينبـت مـرة أخـرى.. والجثـة التـي شـبه بهـا الكفـر، إذا قطعـت لا تعـود ولا تنبـت مـرة أخـرى ﴿ مَا لَهَا مِن قَرَارٖ ﴾.. وهـذا كنايـة عـن ضعفهـا وعـدم تمكنهـا.

٥- كلمـة القـول فـي ﴿ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ ﴾؛ فيـه كنايـة عـن كل مـا جـاء بـه الإسـلام مـن عقيـدة وأحـكام... والمعنـى هنـا فـي هـذه الإشـارة البلاغيـة.. أن القـول الثابـت هـو الـذي ثبـت فـي عقـل صاحبـه وقلبـه فثبتـه، وجعـل فـي قلبـه الطمأنينـة والقناعـة... وفـي الأمـر انسـجام بيـن الشـجرة الثابتـة النابتـة، وبيـن الكلمـة الثابتـة النابتـة المسـتمرة التـي لا تنتهـي حتـى يـرث اللـه الأرض ومـن عليهـا...

٦- اسـتخدام كلمـة الضـلال فـي الابتعـاد عـن الحـق والاسـتقامة، وفـي هـذا تشـبيه لحـال مـن يضـل الطريـق فـي السـير إلـى الهـدف؛ بمـن يضـل فـي اختيـاره للمنهـج الـذي يعالـج حياتـه.. وكلمـة ضـلال أيضًـا فيهـا معنـى الغيـاب عـن الحقيقـة؛ لأن الضـلال فـي اللغـة تغييـب الشـيء فـلا يظهـر، وكأن مـن ضلـوا الطريـق أغلبهـم لـم يعرفـوه أصـلًا؛ لأنـه مغيـب عـن حياتهـم.. وفـي هـذا المعنـى إشـارة أنـه لـو عرفـوه مـا ضلـوا ولا تاهـوا...

دروس وعبر دعوية في الآيات:

١- الإسـلام هـو ديـن الحـق، وهـو ديـن الاسـتقامة، وهـو ثابـت نابـت مهمـا اعتـراه مـن ريـاح وحـروب مقصـودة.. فالريـاح لا تزعـزع الشـجرة المتينـة، وربمـا

سقط منها ثمر حلو؛ كلما اشتد عليها الريح، ولكنها لا تفقد أي شيء من كيانها ولا أصالتها، ولا تتزحزح من الأرض.. وفي هذا مدعاة لأتباع هذا الدين أن يتمسكوا به ويعضّوا عليه بالنواجذ، وأن لا تلين لهم قناة؛ مهما حاول الكفار شن الحروب على شجرتهم المتينة... وأن يكون مثلهم في ذلك مثل الشجرة التي آمنوا بها وترسخت في قلوبهم...

٢- ثمار الإسلام حلوة طيبة، وهو بعكس كل المبادئ على وجه الأرض ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ والشجرة الطيبة طيبةٌ في ثمارها وفي منظرها، وفي ظلها، وفي كل شيء في كيانها... فكل أحكام هذا الدين في (الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والحكم)؛ أحكام نورانية تحقق العدل والاستقامة بين البشر. وأخلاق الإسلام أخلاق طيبة **«إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ»**... وهذه الثمار الحلوة هي صفة ملازمة لهذا الدين لا تنفصل عنه أبدًا، وهي مستمرة في العطاء.

٣- إن في استقامة الإسلام، وحسن هيئة وجمال شجرته (أي حسن أحكامه) وطيب ثماره... وفي خبث الكفر وسوء أحكامه وظلمها وظلامها... طمأنينة للمسلم وبشارة عظيمة بأن المستقبل لهذا الدين، وأن هذه المبادئ السقيمة مصيرها الانهدام والزوال، قال تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ٢٦﴾... فالسنوات القريبة القادمة تبشر حتمًا بأن شجرة الكفر ستزول، وأن أسباب زوالها موجودة في أصلها الواهي وفروعها الخبيثة...

والخطاب هنا في هذه الآيات هو لكل صاحب نظر وتدبر وتفكر... أي أين أنتم يا أصحاب العقول، يا أصحاب النظر والتفكر؟ هل تستوي الكلمة الطيبة مع الكلمة الخبيثة؟ وهل تستوي الشجرة الطيبة المثمرة المفيدة والشجرة الخبيثة الضارة، ولا فائدة منها ولا ثمر؟!

هكذا هو الإسلام، وهكذا هو الكفر. هكذا هو مبدأ الإسلام، وهكذا هي مبادئ الكفر يا أصحاب العقول... يا أصحاب النظر والتفكير. هكذا هي أحكام دين الإسلام العادلة، وهكذا هي أحكام الكفر الظالمة. هكذا هي أعمال الكفر وما يصدر عنه من طمع وجشع... وهذه أعمال المسلمين في نشر الرحمة والهداية والاستقامة والرشاد.

إن مثل الإسلام بعقيدته وأحكامه (أي بأصله وفروعه الباسقة) هو تمامًا

كمثل الشجرة القوية الثابتة المتمكنة في الأرض، الشامخة السامقة المرتفعة في جو السماء... مثله كمثل الأصل الثابت المتين في عقيدته القوية المقنعة للعقول المتصلة بخالقها جل جلاله، ومثل أحكامه أي فروعه المنبثقة من هذا الأصل الطيب الثابت الراسخ كمثل الفروع المتصلة بالسماء، أي بخالق السماء، في رحمتها واستقامتها وشمولها وكمالها.. وإن هذه الشجرة - بهذه الصفات العظيمة - تؤتي أكلها، أي ثمرتها في الحياة الدنيا بين الناس كل حين طيبة، تحقق الخير والهداية وتنشر الاستقامة بين الناس، كالشجرة الطيبة الحلوة التي تعطي الناس من ثمرها في كل وقت وحين ويحبها الناس... فكل أحكام هذا الدين هي طيبة حلوة جميلة يحبها الناس ويحبون شجرتها.. أما الكفر وكلمته المبنية على أصل واهٍ ضعيف أو بلا أصل.. فهي واهية غير متمكنة.. لا تقنع عقلًا ولا توافق فطرة، وفروعها هابطة وضعيفة غير عالية ولا باسقة.. لا ثمرة فيها ولا خير، وفوق ذلك تؤذي الناس بمنظرها وأشواكها.. ثم يختم الحق تبارك وتعالى الآيات بقوله: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ٢٧﴾.

القول الثابت هو صفة للكلمة الراسخة الثابتة الشامخة (شجرة الإيمان)، والضلال والظلم هو صفة للشجرة الخبيثة الواهية، شجرة الكفر وكلمة الكفر.. وهذا الثبات في الدنيا؛ بالثبات على الحق والتمسك به نتيجة القناعة التامة بصحته وسداده واستقامته.. ونتيجة القناعة التامة بأنه متصل بخالق السماوات والأرض (الله جلّ جلاله)، وهذا بعكس من ليس عنده قناعة، ولا أي بناء عقلي صحيح في عقيدته، ولا ما استند إليها من فروع كالنظام الرأسمالي المبني على الحلّ الوسط...

هذا هو مثل الإسلام ومثل الكفر في كل أمر من أموره وفي كل فرع يتفرع عنه... وفي هذا مدعاة للتمسك بهذا الدين الحق...

وفي ختام تفسير هذه الآيات العظيمة نقول: إن شجرة الإسلام ستعود عالية باسقة كما كانت، تؤتي أكلها كل حين في كل المعمورة لتخلص البشرية من شقائها وتعاستها والظلم الواقع فوق رؤوسها.. وإن شجرة الكفر والشر زائلة لا محالة... وإنه لقريب قريب بإذنه تعالى ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ صدق الله العظيم.■

هندرسون: هكذا كشفت جنازة أمير سعودي توترات عائلة الحكم

تناول الكاتب الأميركي المعروف سايمون هندرسون، وهو من أشهر الخبراء الأميركيين في شؤون الخليج، وهو مدير "برنامج الخليج وشؤون الطاقة" في معهد واشنطن، في تحليل نشره معهد واشنطن للدراسات، مشهد جنازة الأمير طلال بن عبد العزيز، وما حمله من دلالات على التوترات الراهنة في العائلة السعودية الحاكمة، وما حمله من إشارات "بشأن توقيت تغيير ممكن في القيادة في المملكة وكيفية حصوله". وعن الجنازة قال هندرسون إنها جنازة ملكية تطابقت مع كل الخدع التصويرية لاجتماع أفراد العائلة المالكة البريطانية يوم عيد الميلاد". ولتوضيح المقارنة بين المشهدين في لندن والرياض، قال هندرسون إن "مراسلي الصحافة الصفراء" بحثوا "عن أي إشارات على عدائية بين "زوجتيْ وندسور المتناحرتيْن" - كيت وميغان، عقيلتي الأميرين ويليام وهاري، اللتين يقال إنهما لا تتفقان". أما عن النسخة السعودية، فقال إنها "تكتسي أهمية أكبر على الصعيد السياسي، وستغذي التكهنات بشأن توقيت تغيير ممكن في القيادة في المملكة وكيفية حصوله".

وانتهى هندرسون إلى القول: "قد تكون الجنازات مسرحًا، وغالبًا ما يمكن التنبؤ بأحداثها. ويمكن أن تكون جنازة الأمير المهمش، طلال، هي الفصل الأول من النسخة السعودية الخاصة بـ "صراع العروش" لعام ٢٠١٩"، في إشارة إلى المسلسل الأميركي الشهير بنفس الاسم.

قناة الجزيرة مهددة بقانون أميركي جديد

قالت وسائل إعلام أميركية، إن قناة الجزيرة القطرية الناطقة باللغة الإنجليزية في الولايات المتحدة، قد تجد نفسها مكبّلة بقانون جديد يجبرها على كشف عملياتها المالية؛ ما سيؤثر بشكل كبير على أنشطتها السرية المشبوهة التي تمولها الحكومة القطرية. وأشار تقرير نشره موقع "ديلي بيست"، إلى أن القانون الأميركي الجديد يستهدف بالأساس وسائل الإعلام الروسية في الولايات المتحدة، ويقضي بزيادة الشفافية في أنشطتها، لافتًا إلى وجود اتهامات من قبل أعضاء الحزب الجمهوري بأن قناة الجزيرة بالإنجليزية تخدم نشاط بعض الجماعات "الإرهابية" ومصالح الحكومة القطرية. وقال التقرير: "قد تجد قناة الجزيرة نفسها واقعة في فخ هذا القانون الجديد الذي يجبر وسائل الإعلام الأجنبية في الولايات المتحدة على أن تقدم تقارير دورية عن أعمالها المالية وأنشطتها الأخرى للجنة الاتصالات

الفيدرالية". وأعرب مصدر قريب من اللجنة، عن أمله بأن يتيح القانون الوصول أيضًا إلى أنشطة وسائل الإعلام القطرية الأخرى، مثل موقع "ميدل إيست إي" وغيرها، وهي إشارة تثبت تبعيته لقطر بعد سنوات من محاولات من التعتيم والتستر خلف مسمى بريطاني".

الوعي: قناة الجزيرة التابعة لقطر تضخم دورها الإعلامي السياسي وتوسعت قنواتها حتى وصلت أذرعها للتاثير على المشاهد الغربي بشكل واسع، ومنه الأميركي؛ وحيث إن قطر تابعة في سياستها لبريطانيا وتخدمها فقد صارت من أدوات الصراع الدولي بين بريطانيا وأميركا التي تضايقت منها كثيراً أثناء تغطيتها لحرب الخليج، وهددت زمن بوش بضربها.

موسكو.. ٩٢٪ من سوريا كانت خارجة عن سيطرة الأسد قبل "تدخلنا" وجميع قادة جيوشنا الكبار شاركوا

قالت وزارة الدفاع الروسية، إن ما ينوف عن ٦٨ ألف عسكري روسي شاركوا في الحرب بسوريا، وعلى رأسهم ٤٦٠ جنرالًا، يمثلون قادة الجيوش الروسية في مختلف الاختصاصات، فضلًا عن النسبة العظمى من قادة الألوية. ونقلت وكالة "إنترفاكس" عن الوزارة فحوى بيان يعلن أن الذين "خاضوا العملية الروسية في سوريا"، هم: كافة قادة الدوائر العسكرية الروسية وقادة جيوش القوات البرية، وجيوش القوات الجوية، وقوات الدفاع الجوي، وقادة الفرق العسكرية، و٩٦٪ من قادة الألوية والأفواج.

وتابعت وزارة الدفاع الروسية كلامها مشيرة إلى أن "٨٧٪ من طواقم الطيران التكتيكي و٩١٪ من طواقم طيران الجيش، و٩٧٪ من طواقم طيران النقل العسكري و٦٠٪ من أطقم الطيران الاستراتيجي، قد طوروا خبراتهم العملية خلال المهام التي كلفوا بها في سوريا". وأفادت أن من تسميهم "الجماعات الإرهابية"، كانت تسيطر على ٩٢٪ من أراضي سوريا عندما تدخل الروس خريف ٢٠١٥، بينما يسيطر النظام وأعوانه الآن على ٩٦,٥٪ من سوريا. وأكدت الوزارة أن روسيا "اختبرت" في سوريا أكثر من ٣٠٠ نوع من الأسلحة والمعدات العسكرية الروسية، بما فيها مقاتلات الجيل الخامس "سو-٥٧"، ومنظومات الدفاع الجوي "بانتسير - إس ٢"، ومدرعات "ترميناتور-٢" والروبوت القتالي "أوران-٩" المدرع.

الوعي: إن مثل هذا االبيان يدلل على مدى عدائية روسيا وإجرامها بحق المسلمين وتجريب الأسلحة بقتلهم... وهل تظن روسيا أن المسلمين سيسكتون عنها، بل أنها بضربها لهم ستوقظهم أكثر، وسيردون لها الصاع أصواع، ولولا أنها غبية سياسيًا لما تورطت فيما ورطتها به أميركا.

قاعدة بريطانية بالكويت، ومسؤول ينفي صلتها بخلاف مع الرياض

قالت صحيفة الرأي الكويتية إن الكويت وبريطانيا اتفقتا على إنشاء قاعدة عسكرية بحرية بريطانية بعد محادثات متواصلة بين الطرفين استمرت لعدة أشهر بشأن التعاون العسكري.

وأشارت إلى أن اجتماعًا ستعقده ما تعرف بـ"لجنة التوجيه المشتركة مع بريطانيا" بحضور كبار مسؤولي البلدين لبحث "مختلف أوجه التعاون بين الكويت وبريطانيا في مقدمتها التعاون الثنائي في كل القطاعات". ونقلت الصحيفة عن السفير البريطاني في الكويت مايكل دافنبورت قوله إن "الوجود البريطاني العسكري الدائم يأتي بناء على طلب ورغبة من الجانب الكويتي". وأوضح قائلًا: "لدينا تعامل مستمر مع كل أفرع قوات الجيش الكويتي، ونخطط لتدريبات مشتركة مطلع العام المقبل، وهناك تدريبات سنوية تسمى (محارب الصحراء)، واتفقنا على زيادة فرق التدريبات العسكرية التي تزور الكويت من المملكة المتحدة، وربما سيتضاعف عددها مرتين أو ثلاثة خلال العامين المقبلين".

إلى ذلك، نفى خالد الجارالله نائب وزير الخارجية أي علاقة بين الاستعانة بالقوات البريطانية وبين الخلاف الحدودي مع السعودية، وفق ما نقلت عنه هيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي). وقال المسؤول الكويتي: "إذا كان البعض يربط فنحن لا نربط، وليربط البعض ما يشاء، خلافنا مع أشقائنا في المملكة العربية السعودية خلاف أشقاء، وأستطيع أن أقول إنه سوء فهم". وأضاف: "التفكير في التعاون العسكري مع بريطانيا قديم وليس وليد اللحظة، والأمور تتطور وتتبلور أكثر في الكويت، ونحن نرحب بهذا التعاون ونرحب بتواجد أصدقائنا في المملكة المتحدة على أراضي الكويت لتكريس التعاون العسكري بين البلدين".

الوعي: يعيش حكام الخليج أسوأ حالات القلق على المصير، وهم يزيدون ارتماء في حضن أعداء الأمة، ولو كانوا منها لاحتضنوها واحتضنتهم. ومن عجيب الأمر أنهم يخافون على أنفسهم من أنفسهم.

إسلام مختلف...
مســاجد فرنسية بإمام امرأة وقاعات صلاة مشتركة

تسعى جمعيتان مسلمتان في باريس لإطلاق مشروعين يقضيان بإنشاء مسجد يتضمن قاعة صلاة مشتركة للرجال والنساء، وتؤم فيه امرأة المصلين وتلقي الخطبة، وذلك في إطار قراءة "تقدمية" للإسلام على غرار ما يجري في ألمانيا.

وقدمت المشروع الأول كاهينة بهلول، وهي طالبة تعد أطروحة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية في المدرسة التطبيقية للدراسات العليا، وفاكر كورشان، أستاذ الفلسفة. ووضع الاثنان "هيكلية" لمكان العبادة. وأوضحت بهلول سبب اللجوء إلى ذلك بقولها: "كنا غير راضين عن الصورة الحالية للمساجد، فهي تظهر إسلامًا تقليديًا جدًا إن لم يكن سلفيًا، مع ما تتضمنه من طريقة متزمتة ولا تحتمل التأويل لقراءة النصوص التراثية. نحن نريد أن نمارس الإسلام بشكل مختلف". وأضافت "غالبًا ما يتم استبعاد النساء من القاعة الرئيسية لمكان العبادة، في حين سيستقبل مسجد فاطمة (اسم المشروع) الرجال والنساء معًا في قاعة واحدة؛ حيث يخصص جانب للرجال وآخر للنساء، لكنهم سيقفون في صف واحد". وسيتناوب إمام رجل وامرأة على إلقاء خطبة الجمعة، وبذلك ستكون المرة الأولى التي تؤم فيها امراة الصلاة في فرنسا، بعد أن سبق

لها ذلك في ألمانيا والدنمارك والولايات المتحدة.

ويرى أن "كثيرًا من المسلمين يتوقون إلى ممارسة الدين بطريقة جديدة لكنهم لا يعبرون عن ذلك إلا في الكتب أو المحاضرات، حان الوقت للكف عن القول كيف نرى الإسلام، يجب إظهار ذلك وتطبيقه"، معربًا عن رغبته في "إظهار عمق التعليم الإسلامي القادر على عبور المكان والزمان". ويأمل الاثنان في أن يتم تنفيذ المشروع في باريس نظرًا "لرمزيته"، وهما يبحثان راهنًا عن جهة مموِّلة.

وجرى في يونيو ٢٠١٧م، افتتاح مسجد "ليبرالي" في برلين حيث يمكن للرجال والنساء أن يصلوا جنبًا إلى جنب مع الدعوة الى إسلام معاصر

الوعي: أصبحنا في زمن صار اللعب فيه بالإسلام سافرًا، وهو يسير بعملية تشويه متعمدة للدين من شذاذ آفاق لا خلاق لهم، ولم يسمع بهم ولن يسمع لهم أحد.

قرار بتمديد عمل المحقق مولر، وتوقعات باقتراب انتهاء التحقيق

يتوقع أن يبقى التحقيق الذي يقوده المدعي الخاص روبرت مولر حول احتمال وجود تواطؤ بين فريق حملة الرئيس الأميركي دونالد ترامب الانتخابية وروسيا، مخيمًا على البيت الأبيض لمزيد من الوقت بعدما مددت قاضية مهمة هيئة محلفين كبرى سرية تم تشكيلها في سياق التحقيق؛ وذلك وسط تكهنات بأن مولر يقترب من الانتهاء من تحقيقه واسع النطاق. وصدرت عن تحقيق مولر اتهامات بحق ٣٣ شخصًا، بينهم ثلاثة من كبار معاوني ترامب السابقين، وحصل على سبعة إقرارات بالذنب وإدانة واحدة. وتستمر مهمة هيئة المحلفين الكبرى عادة لمدة أقصاها ١٨ شهرًا، ويسمح بالتمديد لها لفترة لا تتجاوز الستة أشهر. ويجري التحقيق بسريّة بالغة. وأثار تكهنات بشأن إمكانية استهدافه ترامب شخصيًا على خلفية وجود تعاون محتمل بين فريقه وروسيا في حملة انتخابات ٢٠١٦ واحتمال قيامه بعرقلة القضاء.

في وقت سابق، قال أستاذ التاريخ السياسي الأميركي، آلان ليختمان: "إذا كانت النتائج صادمة بما فيه الكفاية فإن القاعدة الديمقراطية ستطلب إجراء تحقيق بشأن العزل". وأضاف: "لا ينبغي للديمقراطيين أن يتجنبوا ذلك، إنه واجب دستوري وضعه مؤسسو البلاد في الدستور حتى يمكننا التعامل مع هذه الحالات بوسائل قانونية ومنظمة وسلمية".

وكشف استطلاع للرأي أن معظم الأميركيين يؤيدون عزل ترامب، أو على الأقل إخضاعه رسميًا لمراقبة الكونغرس.

الوعي: إن الديمقراطية هي من أسوأ ما توصل إليه الفكر الإنساني على مدى التاريخ، وحكامها هُم أسوأ من عليها اليوم. وفي الحقيقة، فإنه ليس الواجب على الأميركيين عزل ترامب، بل عليهم إقصاء المبدأ الرأسمالي نفسه عن الحياة، فإن التي من اللتيا.

قال الله تعالى

﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ٢٥٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٥٤ ﴾

جاء في كتاب التيسير في أصول التفسير لمؤلفه عطاء بن خليل أبو الرشته أمير حزب التحرير حفظه الله في تفسيره لهذه الآيات ما يلي:

يبين الله سبحانه في هذه الآيات ما يلي:

١. بعد أن بين الله في الآية السابقة ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ٢٥٢ ﴾ أنَّ ما أنزله سبحانه من آيات وأحكام تدلّ على صدق نبوته ﷺ وأنَّه من المرسلين، فإنه سبحانه يبين في هذه الآية ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ أن رسل الله يتفاضلون بكيفية نزول الآيات الدالة على صدقهم وتنوع الشرائع التي ينزلها الله عليهم، فمنهم من يكلمه الله تكليمًا أو يوحي إليه وحيًا، أو يرسله إلى قومه خاصة أو إلى الناس كافة، أو يجعل آية نبوته إبطال سحر السحرة أو شفاء الموتى أو قرآنًا معجزًا يتلى.

كما يبين الله سبحانه أنه القاهر فوق عباده، فلا يحدث في ملكوته شيء جبرًا عن إرادته سبحانه.

فإن الذين اختلفوا على أنبيائهم بعد مشاهدتهم للآيات الدالة على صدق الرسل ثم اقتتلوا

من بعدهم لم يصنعوا ذلك رغم إرادة الله، بل فعلوه باختيارهم؛ ولكن فعلهم هذا ليس جبرًا عن خالقهم، فإن الله سبحانه لو شاء لخلقهم على الهدى ولمنعهم من الاختلاف على أنبيائهم، غير أن حكمة الله سبحانه اقتضت أن يبين للناس الخير من الشر بإرسال الرسل إليهم، ويتركهم يختارون ما يشاؤون من خير فيثيبهم عليه، أو ما يشاؤون من شر فيعاقبهم عليه، فهم مسؤولون عنه ما داموا فعلوه باختيارهم.

وهنا لا بدّ من توضيح أمرين مهمين سبق أن ذكرناهما في هذا التفسير ونعيدهما للأهمية:

أ. أن العبد لا يستطيع أن يفعل فعلًا رغمًا عن الله سبحانه أو جبرًا عنه، وهذا هو معنى أن أفعال العبد بإرادة الله ومشيئته، أي ليس جبرًا عن الله، وليس معناها أنها برضى الله. فعندما يقال فلان سرق بمشيئة الله وإرادته يعني أنه سرق ليس جبرًا عن الله، وليس معناه أنه سرق برضا الله، فمشيئة الله وإرادته لهما حقيقة شرعية تعني أنه لا يتم شيء في ملكوت الله جبرًا عنه سبحانه بل بإرادته ومشيئته، وليست تعني المعنى اللغوي من شاء أو أراد بمعنى رضي.

ب. أن العبد مسؤول عن كلّ أفعاله الاختيارية، فإن كانت خيرًا يجزَ عليها خيرًا وإن كانت شرًا يعاقب عليها ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ٣٨ ﴾ المدثر/آية٣٨ ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ١٢٣ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ١٢٤﴾ النساء/ آية١٢٣-١٢٤.

وهكذا فإن أولئك الأقوام الذين اختلفوا على أنبيائهم من بعد ما رأوا الآيات الدالة على صدق نبوتهم فآمن منهم من آمن وكفر منهم من كفر، هم مسؤولون عن اختيارهم المذكور للإيمان أو للكفر، وسيجزون بذلك، الجنة لأهل الإيمان، والنار لأهل الكفر.

ولكنهم في كل ما اختاروه من إيمانٍ وكفرٍ لم يكن رغمًا عن إرادة الله أو جبرًا عنه سبحانه، فإن الله لو شاء لمنعهم من هذا الاختلاف والامتثال، ولجعلهم أمة واحدة، ولخلقهم على الهدى.

ولكن حكمة الله اقتضت غير ذلك فتركهم يختارون، إيمانًا أو كفرًا، ويجزيهم به، ثوابًا أو عقابًا، بعد أن أرسل لهم الرسل وبين لهم الآيات وأقام الحجة عليهم، فالله سبحانه يفعل ما يريد ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾.

﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي ميزناهم عن بعض في عدد من الأمور، فمن الرسل من كلمه الله كموسى – عليه السلام – ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ النساء/

آية١٦٤ ومنهم من أوحى الله إليه وحيًا – جبريل عليه السلام – كرسول الله محمد ﷺ ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ البقرة/آية٩٧.

ومحمد ﷺ أرسل للناس كافة، وغيره إلى أقوامهم خاصة: "**أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي: كان كلّ نبي يرسل إلى قومه خاصة وقد بعثت إلى كلّ أحمر وأسود، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، وأعطيت الشفاعة، ونصرت بالرعب مسيرة شهر، وأحلت لي الغنائم ولم تحلّ لأحد من قبلي**"[١].

وهذه الآية ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ لا تتعارض مع الآية ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ البقرة/آية٢٨٥ ولا تتعارض كذلك مع الحديث: "**لا تفضلوا بين أنبياء الله**"[٢].

وذلك لأن أصل الفضل في اللغة الزيادة ضد النقص، فمن زاد على آخر في أمر فقد أفضل عنه في هذا الأمر أي زاده فيه، ولذلك فمن كان أكثر من غيره في الرزق يكون قد فضل عليه ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ﴾ النحل/آية٧١، فالتفضيل لا يعني أكثر من الزيادة في أمر ما، وقد يفضله الثاني في أمر آخر.

والأنبياء من حيث النبوة لا يتفاضلون، وهذا معنى ما جاء في الآية ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ البقرة/آية٢٨٥ والحديث: "**لا تفضلوا بين أنبياء الله**" ولكن من زاده الله منهم أمرًا آخر يكون قد فضله في ذاك الأمر كما في الآية ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ وكما في قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ الإسراء وكما ذكرنا في الحديث السابق عن رسول الله ﷺ.

= ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ أي موسى – عليه السلام –.

= ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ محمد ﷺ كما قال ابن عباس.

= ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، وخلق الطير من الطين بإذن الله.

= ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ وقويناه بجبريل – عليه السلام –.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ أي أن اقتتالهم لم يكن رغمًا وجبرًا عن الله

١ البخاري: ٣٢٣، مسلم: ٨١٠

٢ البخاري: ٣١٦٢، مسلم: ٤٣٧٦

بل بمشيئته سبحانه، فالله قادر على منعهم من الاقتتال ولكن الله تركهم يفعلون باختيارهم ما يشاؤون؛ فاقتتلوا بسبب اختلافهم على أنبيائهم حيث آمن من آمن وكفر من كفر، فذِكْر ﴿وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُواْ﴾ دليل على أن اختلافهم هو سبب اقتتالهم.

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ ﴾ تأكيد لما ذكر في الآية السابقة من أن لا يقع في ملك الله شيء جبرًا عنه سبحانه بل بمشيئته.

وهذا التأكيد ليس من قبيل التكرار المجرد، بل طبقًا لأساليب العرب في كلامهم، فإن العربي الفصيح إذا بدأ بذكر أمر ثم حدث ما يدعو لذكر أمر آخر وأراد أن يعود للأول فإنه يذكره مرة أخرى، أو يذكر نحوه ليعيد اللحمة لما انقطع من الكلام.

وهذا على نحو قوله تعالى ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا ﴾ النحل/آية١٠٦ فإن ابتداء الكلام عمن يكفر بالله تعالى بعد إيمانه، ثم ذكر الله سبحانه بعدها حالة الإكراه، ثم عاد سبحانه فأكمل الآية بنحو ما بدأه به ﴿ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا ﴾ النحل/آية١٠٦.

وهذه الآية كذلك فقد ذكر الله سبحانه تعلق الامتثال بمشيئته سبحانه ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم ﴾ ثم ذكر اختلافهم على أنبيائهم، ثم عاد سبحانه على نحو ما بدأ به ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ ﴾ وهذا أسلوب في العربية غاية في الفصاحة والبيان.

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ فهو سبحانه لا يعجزه شيء ولا رادّ لحكمه ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ البقرة/آية١١٧.

٢. بعد أن بيَّن الله سبحانه في الآية السابقة حال الأمم واختلافهم على أنبيائهم، فمنهم من آمن ومنهم من كفر، ذكر الله سبحانه في الآيات اللاحقة بعض شأن المؤمنين والكافرين فالذين آمنوا ينفقون زكاة أموالهم إعمارًا لآخرتهم حيث لا ينفعهم هناك إلا أعمالهم الصالحة، فلا تجارة يتاجرون بها هناك تدرّ عليهم أموالًا يزكونها ويؤجرون، ولا أصدقاء هناك يحملون من أوزارهم شيئًا أو يساعدونهم في فعل الخيرات، إلا إن كانوا من المتقين، ولا أحد يشفع لهم إلا أن يأذن الله فيكونوا من الفائزين.

وأما الذين كفروا فهم الظالمون الذين وضعوا الأمور في غير موضعها فكفروا بالذي خلقهم واتبعوا خطوات الشيطان فحاق بهم سيئات ما عملوا وكانوا من الهالكين.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم﴾ هذا خطاب للمؤمنين أن ينفقوا من أموالهم وهو طلب بالإنفاق.

﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ وعيد شديد وهو قرينة على أن الطلب جازم.

أي أن الإنفاق المطلوب في هذه الآية الكريمة هو فرض فهو (الزكاة) وليس المقصود في الآية صدقة التطوع.

﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ﴾ بالرفع على اعتبار (لا) تعمل عمل ليس، وهي في هذه الحالة تحتمل النفي العام وغير العام، فهي من المتشابه؛ ولكنها قُرِئت كذلك بالبناء على الفتح باعتبار (لا) عاملة عمل (إن) وهي في هذه الحالة للنفي العام لا غير، فهي من المحكم.

والقراءتان متواترتان، والمعنى واحد، والمحكم قاضٍ على المتشابه، فيكون المعنى النفي العام للبيع والخلة والشفاعة في ذلك اليوم.

ويؤكد إفادةَ النفي هنا (العمومَ) ورودُ تخصيص للخلة والشفاعة، وورود تخصيص لأمر ما يعني أن ذلك الأمر لفظ عام. وقد ورد تخصيص الأخلاء بقوله سبحانه: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ٦٧﴾ الزخرف/آية٦٧، وورد تخصيص الشفاعة بقوله سبحانه: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ١٠٩﴾ طه/ آية١٠٩ وبالحديث: "**أعطيت الشفاعة**"[٣].

فلا خلة يومئذ للمتقين ولا شفاعة في ذلك اليوم إلا لمن أذن له الرحمن وإلا لرسوله ﷺ.

الخلة: خالص المودة وهي مأخوذة من تخلل الأسرار بين الصديقين.

﴿وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ أي الكافرون هم الذين يضعون الأمور في غير موضعها، فيكفرون بالخالق ويعبدون مخلوقاته ويشركون به بعض خلقه، ويضعون تشريع المخلوقات في موضع تشريع الخالق، فهم بذلك ظالمون.■

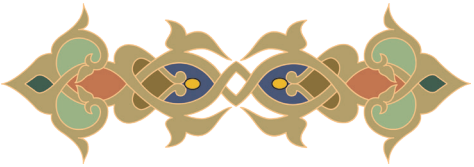

٣ البخاري: ٣٢٣، مسلم: ٨١٠

اتَّقُوْا دَعْوَةَ المَظْلُوْم

- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» رواه مسلم.

- عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا. فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا، كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: تَحْجُزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ، فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ**» رواه البخاري.

- عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «**يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا**». رواه مسلم.

- أخبرنا معمر عن قتادة أو الحسن - أو كليهما - قال: «**الظلم ثلاثة: ظلم لا يغفر، وظلم لا يترك، وظلم يغفر. فأما الظلم الذي لا يغفر، فالشرك بالله. وأما الظلم الذي لا يترك، فظلم الناس بعضهم بعضًا، وأما الظلم الذي يغفر، فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه. وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ**» رواه البخاري.

- من حديث معاذ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْوَالِدِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ**» رواه أبو داود.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا اللَّهُ فَوْقَ الْغَمَامِ، وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ**» رواه الترمذي.

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ وَإِنْ كَانَ فَاجِرًا، فَفُجُورُهُ عَلَى نَفْسِهِ**» رواه أحمد.

- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ وَإِنْ كَانَ كَافِرًا، فَإِنَّهُ لَيْسَ دُونَهَا حِجَابٌ**» رواه أحمد.

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ اللَّهُ: «**ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ**» رواه البخاري. ■

أبو أيُّوب الأنصاري

يدفن تحت أسوار القسطنطينية

هذا الصحابي الجليل يدعى خالد بن زيد بن كليب، من بني النجار. أما كنيته فأبو أيوب، وأما نسبته فإلى الأنصار.

ومن منا معشر المسلمين لا يعرف أبا أيوب الأنصاري!

فقد رفع الله في الخافقين ذكره وأعلى في الأنام قدره حين اختار بيته من دون بيوت المسلمين جميعًا لينزل فيه النبي الكريم لمـَّا حل في المدينة مهاجرًا، وحسْبه بذلك فخرًا. ولنزول الرسول، صلوات الله وسلامه عليه، في بيت أبي أيوب قصّة يحلو ترددها ويلذُّ تكرارها.

ذلك أن النبي عليه الصلاة والسلام حين بَلغ المدينة تلقته أفئدة أهلها بأكرم ما يُتلقى به وافد، وتطلعت إليه عيونهم تبثُّه شوق الحبيب إلى حبيبه، وفتحوا له قلوبهم ليحلَّ منها في السويداء، وأشرعوا له أبواب بيوتهم لينزل فيها أعزَّ منزل.

لكن الرسول صلوات الله وسلامه عليه، قضى في قباء من ضواحي المدينة أيامًا أربعة، بنى خلالها مسجده الذي هو أول مسجد أُسِّسَ على التقوى.

ثم خرج منها راكبًا ناقته، فوقف سادات يثرب في طريقها، كل يريد أن يظفر بشرف نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته، وكانوا يعترضون الناقة سيدًا إثر سيد، ويقولون: أقم عندنا يا رسول الله في العَدَدِ والعُدَدِ والمـَنَعَةِ. فيقول لهم: «**دعوها فإنها مأمورة**». وتظل الناقة تمضي إلى غايتها تتبعها العيون، وتحفُّ بها القلوب، فإذا جازت منزلًا حزن أهله وأصابهم اليأس، بينما يشرق الأمل في نفوس من يليهم. وما زالت الناقة على حالها هذه، والناس يمضون في إثرها، وهم يتلهفون شوقًا لمعرفة السعيد المحظوظ حتى بلغت ساحة خلاء أمام بيت أبي أيوب الأنصاري، وبركت فيها؛ لكن الرسول عليه الصلاة والسلام لم ينزل عنها، فما لبثت أن وثبت

وانطلقت تمشي، والرسول مرخٍ لها زمامها، ثم ما لبثت أن عادت أدراجها وبركت في مبركها الأول. عند ذلك غمرت الفرحة فؤاد أبي أيوب الأنصاري، وبادر إلى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يرحب به، وحمل متاعه بين يديه، وكأنما يحمل كنوز الدنيا كلها، ومضى به إلى بيته.

كان منزل أبي أيوب يتألف من طبقة فوقها عُلِّيَّة، فأخلى العُلِّيةَ من متاعه ومتاع أهله لينزل فيها رسول الله؛ لكن النبي عليه الصلاة والسلام آثر عليها الطبقة السفلى، فامتثل أبو أيوب لأمره، وأنزله حيث أحب. ولما أقبل الليل، وأوَى الرسول صلوات الله وسلامه عليه إلى فراشه، صعد أبو أيوب وزوجه إلى العُلِّيَّةِ، وما إن أغلقا عليهما بابها حتى التفت أبو أيوب إلى زوجته وقال: ويحك، ماذا صنعنا؟ أيكون رسول الله صلى الله عليه وسلم أسفل، ونحن أعلى منه؟ أنمشي فوق رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ أنصير بين النبي والوحي؟... إنا إذن لهالكون. وسُقِطَ في أيدي الزوجين وهما لا يدريان ما يفعلان. ولم تسكن نفسيهما بعض السكون إلا حين انحازا إلى جانب العلية الذي لا يقع فوق رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتزماه لا يبرحانه إلا ماشيين على الأطراف متباعدين عن الوسط. فلما أصبح أبو أيوب؛ قال للنبي عليه الصلاة والسلام: واللهِ، ما أُغمِضَ لنا جفن في هذه الليلة، لا أنا ولا أُم أيوب.

فقال عليه الصلاة والسلام: «**وممَ ذاك يا أبا أيوب**». قال: ذكرت أني على ظهر بيت أنت تحته، وأني إذا تحركت تناثر عليك الغبار فآذاك، ثم إني غدوت بينك وبين الوحي.

فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام: «**هون عليك يا أبا أيوب، إنه أرفق بنا أن نكون في السفل، لكثرة من يغشانا من الناس**».

قال أبو أيوب: فامتثلت لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن كانت ليلة باردة، فانكسرت لنا جرة وأُريق ماؤها في العلية، فقمت إلى الماء أنا وأم أيوب، وليس لدينا إلا قطيفة كنا نتخذها لحافًا، وجعلنا ننشف بها الماء خوفًا من أن يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما كان الصباح غدوت إلى الرسول صلوات الله وسلامه عليه، وقلت: بأبي أنت وأمي، إني أكره أن أكون فوقك، وأن تكون أسفل مني، ثم قصصت عليه خبر الجرة، فاستجاب لي وصعد إلى العلية، ونزلت أنا وأم أيوب إلى السُّفلِ.

أقام النبي عليه الصلاة والسلام في بيت أبي أيوب نحوًا من سبعة أشهر، حتى تم بناء مسجده في الأرض الخلاء التي بركت فيها الناقة، فانتقل إلى الحُجُراتِ التي أقيمت حول المسجد له ولأزواجه، فَغَدا جارًا لأبي أيوب، أكرِم بهما من متجاورين. أحب أبو أيوب رسول الله صلوات الله وسلامه عليه حبًا ملك عليه قلبه ولبَّه، وأحب الرسول الكريم أبا أيوب حبًّا أزال الكلفة فيما بينه

وبينه، وجعله ينظر إلى بيت أبي أيوب كأنه بيته.

حدَّث ابن عباس قال: خرج أبو بكر رضي الله عنه بالهاجرة (أي في نصف النهار) إلى المسجد، فرآه عمر رضي الله عنه، فقال: يا أبا بكر ما أخرجك هذه الساعة؟ قال: ما أخرجني إلا ما أجد من شدة الجوع. فقال عمر: وأنا واللهِ، ما أخرجني غير ذلك. فبينما هما كذلك إذ خرج عليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «**ما أخرجكما هذه الساعة**». قالا: والله ما أخرجنا إلا ما نجده في بطوننا من شدة الجوع. قال عليه الصلاة والسلام :»**وأنا، والذي نفسي بيده، ما أخرجني غير ذلك، قوما معي**».

فانطلقوا فأتوا باب أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، وكان أبو أيوب يدَّخر لرسول الله كل يوم طعامًا، فإذا أبطأ عنه ولم يأتِ إليه في حينه أطعمه لأهله. فلما بلغوا الباب خرجت إليهم أم أيوب، وقالت: مرحبًا بنبي الله وبمن معه، فقال لها النبي عليه الصلاة والسلام: «**أين أبو أيوب؟**» فسمع أبو أيوب صوت النبي، وكان يعمل في نخل قريب له، فأقبل يسرع، وهو يقول: مرحبًا برسول الله وبمن معه، ثم أتبع قائلًا: يا نبي الله، ليس هذا بالوقت الذي كنت تجيء فيه، فقال عليه الصلاة والسلام: «**صدقت**»، ثم انطلق أبو أيوب إلى نخيله فقطع منه عِذْقًا (العذق: غصن له شعب) فيه تمر ورطب وبُسرة (البسرة: ما لم يكتمل نضجه). فقال عليه الصلاة والسلام: «**ما أردت أن تقطع هذا، ألا جنيت لنا من تمره**». قال: يارسول الله، أحببت أن تأكلا من تمره ورطبه وبسره، ولأذبحنَّ لك أيضًا. قال: «**إن ذبحت، فلا تذبحنَّ ذات لبن**».

فأخذ أبو أيوب جديًا فذبحه، ثم قال لامرأته: اعجني واخبزي لنا، وأنت أعلم بالخبز، ثم أخذ نصف الجدي فطبخه، وعمد إلى نصفه الثاني فشواه، فلما نضج الطعام ووُضِع بين يدي النبي وصاحبيه، أخذ الرسول قطعة من الجدي ووضعها في رغيف، وقال: «**يا أبا أيوب، بادر بهذه القطعة إلى فاطمة، فإنها لم تصب مثل هذا منذ أيام**». فلما أكلوا وشبعوا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**خبز، ولحم، وتمر، وبُسر، ورطب!**» ودمعت عيناه، ثم قال: «**والذي نفسي بيده، إن هذا هو النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة، فإذا أصبتم مثل هذا فضربتم بأيديكم فيه فقولوا: بسم الله، فإذا شبعتم فقولوا: الحمد لله الذي هو أشبعنا وأنعم علينا فأفضل**».

ثم نهض الرسول صلوات الله عليه، وقال لأبي أيوب: «**ائتنا غدًا**». وكان عليه الصلاة والسلام لا يصنع له أحد معروفًا إلا أحبَّ أن يجازيه عليه؛ لكن أبا أيوب لم يسمع ذلك. فقال له عمر رضوان الله عليه: إن النبي صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تأتيه غدًا يا أبا أيوب. فقال أبو أيوب: سمعًا وطاعةً لرسول الله. فلما كان الغد ذهب أبو أيوب إلى النبي عليه الصلاة والسلام فأعطاه وليدة

كانت تخدمه، وقال له: «**استوصِ بها خيرًا يا أبا أيوب، فإنَّا لم نرَ منها إلا خيرًا ما دامت عندنا**».

عاد أبو أيوب إلى بيته ومعه الوليدة؛ فلما رأتها أم أيوب قالت: لمن هذه يا أبا أيوب!، قال: لنا... منحنا إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقالت: أعظِمْ به من مانح، وأكرمْ بها من منحة. فقال: وقد أوصانا بها خيرًا. فقالت: وكيف نصنع بها حتى ننفذ وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: والله، لا أجد لوصية رسول الله بها خيرًا من أن أعتقها.

فقالت: هديت إلى الصواب، فأنت موفق، ثم أعتقها.

هذه بعض صور حياة أبي أيوب الأنصاري في سلمه، فلو أتيح لك أن تقف على بعض صور حياته في حربه لرأيت عجبًا. فقد عاش أبو أيوب رضي الله عنه طول حياته غازيًا حتى قيل: إنه لم يتخلف عن غزوة غزاها المسلمون منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى زمن معاوية، إلا إذا كان منشغلًا عنها بأخرى.

وكانت آخر غزواته حين جهز معاوية جيشًا بقيادة ابنه يزيد، لفتح القسطنطينية، وكان أبو أيوب آنذاك شيخًا طاعنًا في السن، يحبو نحو الثمانين من عمره، فلم يمنعه ذلك من أن ينضوي تحت لواء يزيد، وأن يمخر عباب البحر غازيًا في سبيل الله؛ لكنه لم يمضِ غير قليل على منازلة العدو حتى مرض أبو أيوب مرضًا أقعده عن مواصلة القتال، فجاء يزيد ليعوده وسأله: ألك من حاجة يا أبا أيوب. فقال: اقرأ عني السلام على جنود المسلمين، وقل لهم: يوصيكم أبو أيوب أن توغلوا في أرض العدو إلى أبعد غاية، وأن تحملوه معكم، وأن تدفنوه تحت أقدامكم عند أسوار القسطنطينية، ولفظ أنفاسه الطاهرة.

استجاب جند المسلمين لرغبة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكرُّوا على جند العدو الكرة حتى بلغوا أسوار القسطنطينة، وهم يحملون أبا أيوب معهم، وهناك حفروا له قبرًا ووارَوه فيه.

رحم الله أبا أيوب الأنصاري، فقد أبى إلا أن يموت على ظهور الجياد الصافنات غازيًا في سبيل الله، وسنه تقارب الثمانين.■

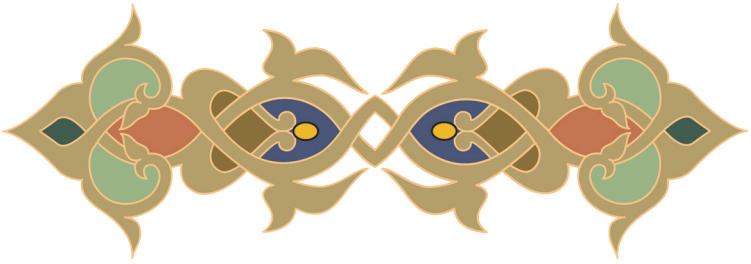

«ما بعد الإسلام السياسي»: خلافة راشدة على منهاج النبوة (بإذن ربها)

قامت مراكز أبحاث في بلاد المسلمين، تجمع فيها من لا خلاق لهم ممن يسمَّون بباحثين علمانيين، وهؤلاء لا تقل جهودهم خطرًا عن نظرائهم الغربيين، فقد كثرت مؤتمراتهم ومقالاتهم وأبحاثهم التي يخدمون بها الغرب في حربه الفكرية على الإسلام. ووصل تماديهم إلى درجة أن تعقد مؤتمرات دولية في بلاد المسلمين بالتنسيق فيما بين مراكز أبحاثهم، وذلك من مثل المؤتمر الدولي الذي عُقد في الأردن بترتيب من مركز الدراسات الاستراتيجية في الجامعة الأردنية ومؤسسة فريدريش إيبرت الألمانية. والذي حمل عنوان»ما بعد الإسلام السياسي» تخلَّله على مدى يومين، جلسات عديدة من الأبحاث والنقاشات بين الباحثين والخبراء في مجال الحركات الإسلامية.

وواضح في هذا العنوان المسموم أنه إعلان صريح لفشل ونهاية الإسلام السياسي بنظر الباحثين، وإعلان مبطن لانتصار الغرب على هذا المفهوم، وهذا غير صحيح البتة، فالغرب في هذه الحرب الفكرية لم ينتصر، والإسلام السياسي لم ينهزم، والمعركة ما زالت سجالًا بينهما، ولن تنتهي إلا بظهور الإسلام وإقامة الخلافة الراشدة التي بشر بها الرسول الكريم. بعون الله تعالى.

لقد تناولوا في المؤتمر حركات إسلامية وأعلنوا عن تخليها عن مفاهيم وفرضيات أيديولوجية، تبنّتها عقودًا من الزمن، وقبولها بدلًا من ذلك بمفاهيم الدولة المدنية والديمقراطية كصيغة نهائية لنظام الحكم، وأعطوا مثالًا على ذلك أحزاب العدالة والتنمية في تركيا والمغرب، والنهضة في تونس... ولكنهم تغافلوا أن هذه الحركات مشبوهة في منشئها وطروحاتها، وبالتالي هي ساقطة لدى المسلمين من قبل، وهي إنما وجدت لتلعب هذا الدور بالأصل، وهي إن كانت تلقى تاييدًا فهو تأييد لا يعتدُّ به، وهو تأييد مضمون بضمان الحكام لهم. فأمثال الريسوني والغنوشي هم في الحضيض لدى الأمة، أما أكثرهم جدلًا، وهو أردوغان، فهو أكثرهم سقوطًا لكثرة ما يرتكبه من موبقات صراحٍ، فهو ظهير لكيان يهود، وحليف لأميركا في حربها على الإسلام في كل من أفغانستان والعراقٍ وسوريا. وتقييمنا هذا للرجل هو تقييم عام للأمة، وليس تقييمًا لجزء منها لا يعتد بتقييمهم. والمدقق بموقف المؤيدين له يرى أنهم يصدقونه فيما يدعيه من نصرة الإسلام؛ إذًا فإن تبعيتهم الحقيقية هي للإسلام وليس له، وتحديدًا للإسلام السياسي، كونه حاكمًا سياسيًا.

وتجري الآن ضغوط على حركة الإخوان المسلمين من أجل اللحاق بهذا الركب الذاهب إلى الجحيم، فسواء أكانت هذه الضغوط حقيقية أم شكلية، فإن من يسير بهذا الاتجاه يحكم على نفسه بالسقوط؛ إذ الأمة باتت أوعى من مثل هذه الحركات التي سبقها وعي المسلمين، ومعلوم أن المسبوق لا يقود.

الوعي: إننا في حالة صراع فكري بين الإسلام والغرب، وبدل أن يكون المبدأ الرأسمالي هو مجال المراجعة والتخلي عنه، يحدث العكس. وبدل أن يكون الإقناع بالحق هو السائد لدى هؤلاء الباحثين نراهم يسيرون مع الغرب في فرض إرادته في منع العمل بالإسلام السياسي. إن هؤلاء الباحثين الذين هم من جلدتنا هم خونة لدينهم ولأمتهم. ومن يسير معهم ممن يصنَّفون أنهم مسؤولو حركات إسلامية رضوا بفصل العمل الإسلامي عن السياسة هم أكثر خيانة. ■

ميدل إيست آي: بعد ثماني سنوات لا يزال الربيع العربي حيًا؟

نشر موقع «ميدل إيست آي» في لندن مقالًا للأكاديمي والباحث ألين غابون، يقول فيه إنه بسبب انتفاضات عام ٢٠١١م، فإن الخارطة السياسية الحالية للمنطقة تصبح مؤلمة حقًا، والوضع يبدو أسوأ بكثير مما كان عليه قبل أن يقدم محمد بوعزيزي في ٢٠١٠/١٢/١٧ على حرق نفسه. ويلفت الكاتب إلى أن مصر ترزح اليوم تحت نير طاغية فاشيٍّ أسوأ بكثير من سلفه حسني مبارك... وبقيت السعودية والإمارات والبحرين تحت حكم ملكيات مطلقة أو شبه مطلقة... وينوه الكاتب إلى أن «اليمن، مُزِّق شعبه بتشكيلة من الحروب بالوكالة والحرب الأهلية والمجاعة والأمراض... بالإضافة إلى سوريا وليبيا، كلها تشرذمت أو انهارت. ويقول غابون: «لم يتعافَ العراق بعد ثماني سنوات من الاحتلال الأميركي وموجات العنف التي أثارها الغزو الأميركي عام ٢٠٠٣»... و»الوضع الإسرائيلي الفلسطيني وصل إلى طريق مسدود بسبب إصرار إسرائيل (وحلفائها) لمنع قيام دولة فلسطينية، والنزعة الاستعلائية اليهودية، وتحيز إدارة ترامب ودون قيود لإسرائيل» ويعلق غابون: «يبدو أنه تم التخلي عن الفلسطينيين نهائيًا من الجميع، ويلفت غابون إلى أنه «لا شك أن العنصر الأساسي خلف هذه النتيجة التاريخية الحزينة هو القمع الوحشي الذي شنَّه رؤساء الحكومات مثل الأسد في سوريا، أو الدولة العميقة متمثلة في المجلس الأعلى للقوات المسلحة في مصر ضد تلك الانتفاضات». ويقول الباحث: «لقد فهموا جيدًا بأن هذه معركة بقاء» ويرى غابون إلى أنه «في مواجهة فاعلين يمتلكون الإمكانيات والقوة والذكاء والوحشية فإنه كان يصعب على الثوار بملايينهم الانتصار، فالثوار لم تكن لديهم قيادات ولا إمكانيات حقيقية غير أجسادهم وروحهم وشجاعتهم، (وهذه تثير الإعجاب لكنها ضعيفة أمام الرصاص) ويلفت غابون إلى أن «السبب الثاني لفشل الربيع العربي هو أن المحتجين بالغوا في تقدير أنفسهم وقوتهم وإمكانياتهم...».

ويستدرك الكاتب بأنه بالرغم من الوضع الكئيب، إلا أن هناك أملًا في معظم البلدان التي ذكرت أنفًا، فمن الخطأ الرفض العرضي للربيع العربي، أو وصفه بأنه كان فشلًا تامًا، كما فعل معظم المحللين، بمن فيهم أفضل علماء السياسة الخارجية لسنوات عديدة. فأولًا: يجب عدم اعتبار الإطاحة بما لا يقل عن أربعة ديكتاتوريين إنجازات متواضعة. ثانيًا: تجربة الربيع العربي التي أحس فيها الملايين بطعم الحرية وسيادة الشعب ستبقى مصدر إلهام للشعوب. ثالثًا: سقطت فكرة أن الشعوب العربية غير قادرة على فعل أي شيء. رابعًا: تلك الأنظمة الاستبدادية لم تكن سوى نمورًا ورقية يمكن تحديها والانتصار عليها.

الوعي: إن الغرب، مسؤولين وباحثين، يعيش هاجس التغيير أن خلافة المسلمين ستفرِّخ في مكان ما، وليس هذا تفكيرًا من خيال... نعم، إن خلافة المسلمين الراشدة ستعود، بإذن الله؛ لتقود العالم من جديد؛ ذلك وعد غير مكذوب. ■